

الْعَدُوبُ الْمُلْكِيُّ لِلشَّهْرِيْن

جُولْفُونْ فَرِيدْ



جُولْفُونْ

حول العالم في ٨٠ يوماً

تأليف
جول فيرن

ترجمة
رضوى أبو شبيكة

مراجعة
هبة نجيب مغربي



حول العالم في ٨٠ يوماً

Around the World in 80 Days

Jules Verne

جول فيرن

الناشر مؤسسة هنداوي

المشهرة برقم ١٠٥٨٥٩٧٠ بتاريخ ٢٦ / ١ / ٢٠١٧

يورك هاوس، شيشيت ستريت، وندسور، SL4 1DD، المملكة المتحدة

تلفون: + ١٧٥٣ ٨٣٢٥٢٢ (٤٤)

البريد الإلكتروني: hindawi@hindawi.org

الموقع الإلكتروني: <https://www.hindawi.org>

إنَّ مؤسسة هنداوي غير مسؤولة عن آراء المؤلف وأفكاره، وإنما يعبر الكتاب عن آراء مؤلفه.

رسم الغلاف: إيمان إبراهيم، تصميم الغلاف: إيهاب سالم

الترقيم الدولي: ٩٧٨ ١ ٥٢٧٣ ٠٥٤٦٥

صدر الكتاب الأصلي باللغة الفرنسية عام ١٨٧٢.

صدرت هذه الترجمة عن مؤسسة هنداوي عام ٢٠١٣.

جميع حقوق النشر الخاصة بتصميم هذا الكتاب، وتصميم الغلاف، والترجمة العربية لنص

هذا الكتاب مُرْحَظَة بموجب رخصة المشاع الإبداعي: تَسْبُبُ المُصَنَّفِ، الإصدار ٤، جميع

حقوق النشر الخاصة بنص العمل الأصلي خاضعة للملكية العامة.

المحتويات

- | | |
|----|---|
| ٧ | ١- فيلياس فوج يَعْثُرُ عَلَى خَادِمٍ جَدِيدٍ |
| ١١ | ٢- فيلياس فوج يَقُولُ شَيْئاً قَدْ يَنْدَمُ عَلَيْهِ |
| ١٥ | ٣- فيلياس فوج يَصِدِّمُ خَادِمَهُ الْجَدِيدَ |
| ١٧ | ٤- التَّعْرُفُ إِلَى الْمُحَقَّقِ فيكس |
| ٢٣ | ٥- فيلياس فوج يُسَافِرُ عَبْرَ الْبَحْرِ الْأَحْمَرِ وَالْمُحِيطِ الْهِنْدِيِّ |
| ٢٧ | ٦- فيلياس فوج عَلَى ظَهْرِ فِيلِ |
| ٣١ | ٧- مُغَامِرَةُ فيلياس فوج وباسبارتو والسيِّر فرانسيس |
| ٣٥ | ٨- رِحْلَةُ عَبْرَ نَهْرِ الْجَانِجِ |
| ٣٧ | ٩- فيلياس فوج يَنْتَفِقُ مَبَالِغَ طَائِلَةً |
| ٤١ | ١٠- الرِّحْلَةُ مِنَ الْهِنْدِ إِلَى هونج كونج |
| ٤٧ | ١١- باسبارتو يُبَالِغُ فِي الْأَهْتِمَامِ لِأَمْرِ فيلياس فوج ... وَعَاقِبَةُ ذَلِكَ |
| ٥٥ | ١٢- باسبارتو يُوَاصِلُ الرِّحْلَةَ وَحِيداً، وَيَنْضَمُ لِفَرِيقِ «لونج نوز» |
| ٦١ | ١٣- السَّيِّدُ فوج وَفَرِيقُهُ يَعْبُرُونَ الْمُحِيطَ الْهَادِيَّ |
| ٦٧ | ١٤- فيلياس وباسبارتو يُواجِهَانِ خَارِجِينَ عَلَى القَانُونِ عَلَى السُّكَّكِ الْحَدِيدِيَّةِ |
| ٧٥ | ١٥- فيلياس فوج يَجِدُ طَرِيقَهُ إِلَى ليفربول |
| ٧٩ | ١٦- حَسَارَةُ الرِّهَانِ! |
| ٨٣ | ١٧- الْفَوْزُ بِالرِّهَانِ! |

الفصل الأول

فيلياس فوج يُعثِرُ عَلَى خَادِمٍ جَدِيدٍ

كَانَ السَّيِّدُ فَيلِيَّاسُ فوج يَعْيِشُ فِي ٧ شَارِع سَافِيلِ رو، بِلَندَنَ فِي إنْجُلْتَرَا. وَمُنْذَ أَمِّ بَعِيدٍ، كَانَ شَاعِرٌ مَسْهُورٌ يَقْطُنُ فِي ذَلِكَ الْمَنْزِلِ، وَقَالَ الْبَعْضُ إِنَّ فَيلِيَّاسَ يُشْبِهُ الشَّاعِرَ، لَكِنْ لَمْ تَكُنْ تَجْمِعُهُمَا صِلَةٌ قَرَابَةٌ. وَكَانَ فَيلِيَّاسَ رَجُلًا طَوِيلَ الْقَامَةِ أَسْوَدَ الشَّعْرِ تَرْسِيمُ الْجَدِيدَةِ عَلَى مَلَامِحِهِ، وَقَدْ بَلَغَ الْأَرْبَعينَ مِنَ الْعُمُرِ فِي آخِرِ عِيَدِ مِيلَادِ لَهُ، وَبَدَا الشَّيْبُ يَخْطُ شِعْرَ رَأْسِهِ وَلِحِينَّهِ. وَلَمْ يَكُنْ أَحَدٌ يَعْرِفُ عَنْ فَيلِيَّاسِ فوج أَيِّ شَيْءٍ سَوَى مَلَامِحِهِ، وَأَنَّهُ كَانَ ثَرِيًّا.

عَاشَ فَيلِيَّاسُ وَحْدَهُ فِي الْمَنْزِلِ الْمُوجُودِ فِي شَارِعِ سَافِيلِ رو وَمَعَهُ خَادِمُهُ. وَإِذَا لَمْ يَكُنْ فَيلِيَّاسُ مَوْجُودًا بِالْمَنْزِلِ، فَإِنَّهُ عَادَةً مَا يَكُونُ مَوْجُودًا فِي نَادِي «رِيفُورِمْ كِلُوب»؛ إِذْ كَانَ ذَلِكَ هُوَ الْمَكَانُ الَّذِي اعْتَادَ أَنْ يَتَنَاهُلَ فِيهِ مُعْظَمَ وَجَابَاتِهِ. وَمَعَ تَعْيُبِ سَيِّدِ الْمَنْزِلِ لِوقْتِ طَوِيلٍ مِنَ النَّهَارِ، لَمْ يَكُنْ لَدَيْهِ الْخَادِمُ قَائِمًا طَوِيلًا مِنَ الْمَهَامُ الْيَوْمَيَّةِ، غَيْرَ أَنَّ قَائِمَةَ الْمَهَامُ الْفَصِيرَةِ كَانَتْ شَدِيدَةَ الْأَهْمِيَّةِ.

كَانَ فَيلِيَّاسُ فوج شَدِيدَ الْإِعْتِنَاءِ بِالْكَيْفِيَّةِ الَّتِي يُرِيدُ بِهَا تَنْفِيذَ الْأُمُورِ؛ إِذْ لَا يُدْرِكُ أَنَّ يَكُونُ ذَلِكَ عَلَى نَحْوِ شَدِيدِ الدَّقَّةِ. فِي الْأَوَّلِ، فِي ذَلِكَ الصَّبَاحِ طَرَدَ فَيلِيَّاسَ خَارِمَهُ جِيمِسَ فُورِسْتَ؛ لِأَنَّهُ أَخْضَرَ لَهُ مَاءَ حِلَاقَةِ أَبْرَدَ دَرَجَتَيْنِ عَمَّا يُفترَضُ!

كَانَ فَيلِيَّاسَ جَالِسًا عَلَى أَرِيكَةٍ فِي غُرْفَةِ مَعِيشَتِهِ، مُنْتَظِرًا وُصُولَ خَادِمِهِ الْجَدِيدِ. وَفِي أَحَدٍ أَرْكَانِ الْغُرْفَةِ، كَانَتْ هُنَاكَ سَاعَةٌ حَائِطٌ غَرِيبَةٌ، يَظْهُرُ بِهَا السَّاعَاتُ وَالدَّقَائِقُ وَالثَّوَانِيَّاتُ وَالْأَيَّامُ وَالْأَشْهُرُ وَالسَّنَوَاتُ، وَكَانَ فَيلِيَّاسَ يَضْبِطُ حَيَاتَهُ عَلَى عَقَارِبِ تِلْكَ السَّاعَةِ، وَكَانَ تَحْرُكُ عَقَارِبِ السَّاعَةِ جَمِيعَهَا فِي وَقْتٍ وَاحِدٍ مَشَهُدًا رَائِعًا.

كانت عقارب الساعات تشير إلى الحادية عشرة والنصف إلا بضعة دقائق فقط، وكان فيلياس في سبيله لمعادرة المنزل متوجهًا إلى نادي «ريفورم كلوب» في تمام الحادية عشرة والنصف. وفي تلك الوقت، طرق جيمس باب الغرفة ثم دخل، وكان قد انتهى لتوه من حزم أمتعته، وكان في طريقه إلى خارج المنزل.

قال جيمس: «الحادي الجديد يا سيدي». ثم استدار وعاد إلى الغرفة مسرعًا. تقدم شاب يقرب عمره من الثلاثين وأنحنى قائلاً: «اسمي جان باسبارتو». سأله فيلياس: «كم الساعة الآن؟»

آخر جان باسبارتو ساعة جنبه ونظر فيها بإمعان وقال: «الحادية عشرة وأثنان وعشرون دقيقة يا سيدي».

رد فيلياس: «إن ساعتك متأخرة».

- «عذرًا يا سيدي، لكن ذلك مُستحيل».

كرر فيلياس: «إن ساعتك متأخرة أربع دقائق. حسناً، بدءاً من هذه اللحظة: الحادية عشرة وست وعشرين دقيقة من يوم الأربعين الموافق الثاني من أكتوبر لعام ١٨٦٧ الآن حادي».

ويمجرد الانتهاء من هذه العبارة، هب فيلياس فوج واقفا على قدميه، ثم ارتدى قبعته وعاد إلى المنزل.

تردد صوت إغلاق الباب في الردهات الخالية، وحينئذ همس باسبارتو لنفسه: «يا إلهي! قد رأيت أشخاصاً في متحف شمع مدام تيسو» أكثر حيوية من سيدي الجديد! كان باسبارتو يبحث عن المكان الأمثل ليعمل فيه مذكرة عن غادر باريس قبل حمس سنوات، وعندما علم أن فيلياس فوج يبحث عن حادي جديد، اغتنم الفرصة على الفور ليعمل لديه. كان يعلم أن السيد فوج رجل شديد التنظيم ويحب تنفيذ كل شيء على نحو معيين، وكان باسبارتو يبحث عن نظام عمل جيد وثابت. وفي حقيقة الأمر، كان ما أراده باسبارتو قبل أي شيء آخر هو حياة منتظمة.

وبينما كان باسبارتو يخرج من الغرفة ومنها إلى الرواق، فكر فيما حدث قبل وقت قصير. كان من الصعب التتبّع كيف ستسير الأمور بينه وبين السيد فوج من خلال هذا

اللقاء القصير، وتساءل باسبارتو: «هل سأتمكن من أداء هذه الوظيفة على النحو الذي يرجوه؟»

بدأ باسبارتو في استكشاف المنزل استكشافاً تاماً، فوجده متزلاً شديد النظافة، حتى إنّه كان يلمع، وكان كُلّ شيء في مكانه. وبينما كان ينظر حوله في الطابق الثاني، وجد غرفة نومه، ووجد بها أجراساً كهربائية وأنابيب تحاطب لتساعده على البقاء متصلًا بالطوابق السفلية، كما كانت هناك ساعة كهربائية فوق رف المستود، وكانت شديدة الشبه بالساعة الموجودة في غرفة معيشة السيد فوج، بل وكانت تظهر التوقيت نفسه.

قال باسبارتو: «سيكون ذلك مجيداً سيكون مجيداً!»

ثم ألقى نظرة حافظة على الساعة، ولاحظ أن قطعة من الورق معلقة على الحائط، وكانت جداول بمهاام الروتينية جميعها.

فكَّر باسبارتو: «عظيم! يمكنني الآن أن أتعلم النظام المعتاد أياً».

كان اليوم بالكامل منظماً، إذ يستيقظ السيد فوج في تمام الثامنة صباحاً، ويجب أن يحضر له طعام الإفطار بعد ثلاثة وعشرين دقيقة بالضبط من ذلك، وفي الساعة التاسعة وسبعين وثلاثين دقيقة يجب أن يحلق ذقنه. هكذا عرف باسبارتو ما يجب أن يفعله في كل لحظة من لحظات اليوم؛ فقدم كان هناك في الحقيقة نظاماً لكل شيء، حتى ملابس السيد فوج وأحذيته كانت مرصمة وفق الوقت الذي يرتدية فيها، صيفاً كان أم حريفاً.

بعد أن انتهى باسبارتو من رؤية كل كبيرة وصغيرة في المنزل، قال بصوت مرتفع: «ستسير الأمور بيدي وبيّن السيد فوج على خير ما يرام، هذا ما كنت أريده بالضبط».

الفصل الثاني

فيلياس فوج يُقول شيئاً قد يندر عليه

غادرَ فيلياس فوج منزله وقطعَ الْخَمْسِيَّةَ وَحْمِسٍ وَسَبْعِينَ حُطْوَةَ الَّتِي تَفَصِّلُهُ عَنْ «ريفورم كروب»، وَتَوَجَّهَ مُبَاشِرًا إِلَى غُرْفَةِ الطَّعَامِ وَجَلَسَ عَلَى طَاولَتِهِ الْمُعْتَادَةِ، وَخَارَجَ غُرْفَةَ الطَّعَامِ مُبَاشِرًا، كَانَتْ هُنَاكَ حَدِيقَةٌ يُحِبُّ التَّنَزَّهُ إِلَيْهَا. أَحْضَرَ النَّادِلُ الْمُعْتَادُ لِفيلياس عَذَاءَهُ الْمُعْتَادَ، الَّذِي انتَهَى مِنْهُ فيلياس — كَالْعَادَةِ — فِي تَمَّامِ الثَّانِيَةِ عَشْرَةَ وَسَبْعِينَ وَأَرْبَعِينَ دِقِيقَةً.

انتَقلَ فيلياس بَعْدَ الْغَدَاءِ إِلَى الْقَاعَةِ الْكُبْرَى لِقِرَاءَةِ الصُّحْفِ، حَيْثُ أَمْضَى مُعْظَمَ النَّهَارِ هُنَاكَ، ثُمَّ عَادَ مَرَّةً أُخْرَى إِلَى غُرْفَةِ الطَّعَامِ لِتَنَاوُلِ الْعَشَاءِ، وَبَعْدَ الْإِنْتَهَاءِ مِنْ تَنَاوُلِ الطَّعَامِ، جَلَسَ فِي غُرْفَةِ الْقِرَاءَةِ مَعَ بَعْضِ أَعْصَاءِ النَّادِيِّ. فِي الْعَاشرَةِ وَسِتَّ دَقَائِقَ، بَدَأَ لَعْبُ الْوَرَقِ مَعَ أَصْدِقَائِهِ.

وَكَانَ مِنْ ضِمْنِ أَصْدِقَاءِ فيلياس، الْمُهَنْدِسُ أَنْدرو سْتِيُوارْتُ وَمَالِكُ الْأَرَاضِي تُومَاسُ فلاناجان، وَكَانَ جون سوليغان وَصَمْوئيل فولنتين مُوجُودِينَ هُنَاكَ أَيْضًا، وَكَانَا مِنْ مَالِكِيِّ الصُّحْفِ، وَأَخِيرًا كَانَ هُنَاكَ رالف جوثير كذلك، وَهُوَ يَعْمَلُ فِي بَنْكِ إنْجِلْتَرَا. كَانَ الْجَمِيعُ يُرِيدُ مَعْرِفَةَ الْمَرِيدِ مِنَ الْمَعْلُومَاتِ عَنِ السَّرِقَةِ الَّتِي وَقَعَتْ فِي الْمَصْرِفِ مُنْذُ ثَلَاثَةَ أَيَّامٍ فَقَطْ؛ إِذْ إِنَّ الْلَّصَ قَدْ لَذَ بِالْقِرَارِ وَبِحُوزَتِهِ مَا قِيمَتُهُ خَمْسَةُ وَحَمْسُونَ الْفَ جُنَاحِيَّةِ اسْتِرْلِينِيٌّ، وَكَانَ هَذَا الْخَبَرُ يَمْلأُ جَمِيعَ الصُّحْفِ.

سَأَلَ جون سوليغان: «هَلَّا بَدَأْنَا أَيْهَا السَّادَةُ؟ فَإِنَّنِي أَتَطَلَّعُ إِلَى مُبَارَاتِنَا فِي لُعْبةِ بريديج..»

ثم ناقشوا مَنْ سَيُوزِعُ الْوَرَقَ، وَبَعْدَ ذَلِكَ بَدَءُوا اللَّعْبَ. وَبَيْنَمَا اسْتَغْرَقَ الْجَمِيعُ فِي اللَّعْبِ، سَأَلَ توماس فلانagan: «مَا رَأَيْكَ فِي هَذِهِ السَّرِقةِ يَا رالف؟» قَاطَعَهُ أندرو ستيفارت: «سَيَخْسِرُ الْبَنْكُ هَذِهِ النُّقُودَ بِلَا شَكٍ!» فَأَجَابَ رالف: «عَلَى الْعَكْسِ، أَعْتَقَدُ أَنَّنَا سَنَتَمَكَّنُ مِنْ إِلْقاءِ الْقُبْضِ عَلَى ذَلِكَ الْلَّصِ! لَقَدْ أَرْسَلْنَا مُحَقِّقِينَ إِلَى جَمِيعِ أَرْجَاءِ الْبَلَادِ وَإِلَى جَمِيعِ أَنْحَاءِ الْعَالَمِ، وَلَنْ يُفْلِتَ مِنْ أَيْدِينَا.»

سَأَلَ أندرو: «إِذْنُ، هَلْ تَعْرِفُونَ مُوَاصِفَاتِهِ؟»

أَجَابَ رالف: «إِنَّهُ لَيْسَ لِصًا عَادِيًّا بِالْتَّاكِيدِ.»

ضَحِّكَ أندرو وَقَالَ: «لَقَدْ هَرَبَ بِقُدْرٍ كَبِيرٍ مِنَ الْمَالِ! مَاذَا تَعْنِي بِإِنَّهُ لَيْسَ لِصًا عَادِيًّا؟»

أَجَابَ رالف: «إِنَّهُ مِنَ الْبُلَاءِ. عَلَى الْأَقْلَلِ هَذَا مَا تَقُولُهُ الصُّحُفُ.»

وَأَخْبَرَهُمْ رالف أَنَّ عَدَدًا مِنَ الْأَشْخَاصِ كَانُوا قَدْ رَأَوْا رَجُلًا مُهَنَّدَمًا مِنَ النُّبَلَاءِ فِي الْغُرْفَةِ نَفْسِهَا الَّتِي اخْتَقَتْ مِنْهَا الْمَوَالُ، وَكَانَ ذَلِكَ فِي الْيَوْمِ نَفْسِهِ الَّذِي سُرِقَتْ فِيهِ النُّقُودُ. وَكَانَتِ الشُّرْطَةُ عَلَى قَنَاعَةٍ بِأَنَّ هَذَا الرَّجُلُ هُوَ الَّذِي ارْتَكَبَ الْجَرِيمَةَ؛ حَيْثُ إِنَّهُ لَمْ يَكُنْ هُنَاكَ شَخْصٌ آخَرُ قَدْ شُوهدَ فِي الْغُرْفَةِ. وَأَضَافَ رالف أَنَّ الْبَنْكَ قَدْ عَرَضَ مُكَافَأَةً لِلْمُحَقِّقِ الَّذِي يَتَمَكَّنُ مِنْ الْقُبْضِ عَلَى الْلَّصِ، وَكَانَتْ مُكَافَأَةً مُجْزِيَّةً قَدْرُهَا أَلْفًا جُنِّيَّةً اسْتَرْلِينِيًّا!

سَأَلَ أندرو: «إِلَى أَيِّنَ تَعْتَقِدُ أَنَّهُ سَيَذْهَبُ إِذْنَ، إِذَا كَانَ لَدِيْكُمْ رِجَالٌ فِي جَمِيعِ أَنْحَاءِ الْعَالَمِ؟»

قالَ توماس: «أُوه! إِنَّ الْعَالَمَ كَبِيرٌ بِمَا يَنْسَعُ لِاحْتِيَاءِ شَخْصٍ يَتَمَتَّعُ بِالْذَّكَاءِ.»

رَدَّ فيلياس — بَيْنَمَا كَانَ يُوزِعُ الْوَرَقَ حَوْلَ الطَّاولَةِ: «لَقَدْ كَانَ ذَلِكَ.»

سَأَلَ أندرو: «مَاذَا تَعْنِي؟ هَلْ أَصْبَحَ الْعَالَمُ أَصْغَرَ؟»

قالَ رالف: «بِالْطَّبِيعِ! إِنِّي أَتَقُوْ مَعَ فيلياس؛ إِذْ يَسْتَطِيعُ الْمَرْءُ السَّفَرَ أَسْرَعَ هَذِهِ الْأَيَّامَ، وَلِهَذَا السَّبَبِ تَحْدِيدًا سَوْفَ نَتَمَكَّنُ مِنْ إِلْقاءِ الْقُبْضِ عَلَى الْلَّصِ، حَيْثُ سَنَظَلُ مُنْقَدِمِينَ عَلَيْهِ بِخُطْوَةٍ مِنْ خِلَالِ وَضْعِ مُحَقِّقِينَ فِي أَيِّ رُكْنٍ مِنْ أَرْكَانِ الْعَالَمِ يُمْكِنُهُ أَنْ يَخْتَبِي فِيهِ.»

فِيلِيَاْس فُوح يَقُول شَيْئاً قَد يَنْدُم عَلَيْهِ

قَالَ أندرو: «أها! لَكِنْ قَد تَكُونُ هَذِهِ هِيَ الْوِسِيلَةَ عَيْنَهَا التِّي يَهْرُبُ بِهَا اللُّصُّ.»
قالَ رالف: «رَبِّما، وَلَكِنْ هَذَا لَا يُغَيِّرُ حَقِيقَةَ أَنَّ الْمَرْءَةَ يُمْكِنُهُ الْآنَ أَنْ يُسَافِرَ حَوْلَ
الْعَالَمِ فِي ثَلَاثَةِ أَشْهُرٍ.»

قَاطَعَهُ فِيلِيَاْس: «فِي الْوَاقِعِ، فِي ثَمَانِينَ يَوْمًا فَقَطْ.»

قَالَ جون: «إِنَّ فِيلِيَاْس مُحَقٌّ، تَقُولُ الْجَرِيدَةُ إِنَّ السَّفَرَ حَوْلَ الْعَالَمِ الْآنَ يَسْتَغْرِقُ
ثَمَانِينَ يَوْمًا فَقَطْ بَعْدَ أَنْ اكْتَمَلَ خَطُّ السُّكُوكِ الْحَدِيدِيَّةِ الضَّاحِمُ فِي الْهَنْدِ.» وَفَتَحَ الْجَرِيدَةَ
لِيُرِيهَا لِأَصْدِيقَائِهِ مُضِيَّفًا: «انْظُرُوا هُنَا، إِنَّهَا تَرْسُمُ الرِّحْلَةَ كَامِلَةً بِالْتَفْصِيلِ.»
أَخَذَ كُلُّ مِنْهُمْ دُورَهُ فِي النَّظَرِ إِلَى الصَّحِيفَةِ حَيْثُ كَانَ هُنَاكَ وَصْفٌ بِالْأَبْيَضِ وَالْأَسْوَدِ
يُوضِّحُ كَيْفَ يُمْكِنُ لِلْمَرْءَ السَّفَرَ حَوْلَ الْعَالَمِ فِي ثَمَانِينَ يَوْمًا.»

قَالَ رالف: «حَتَّى فِي هَذِهِ الْحَالَةِ، ذَلِكَ لَمْ يَضَعَ فِي الْاعْتِبَارِ الطَّقْسَ السَّيِّئَ أَوِ
الْخَوَابِيَّ أَوِ الْعَدِيدِ مِنِ الْأَشْيَاءِ الْأُخْرَى التِّي قَد تُنْقِدُ الْمَرْءَ طَرِيقَهُ.»

قَالَ فِيلِيَاْس: «كُلُّ ذَلِكَ وُضُعَ فِي الْاعْتِبَارِ.»

جَادَلَ رالف: «مَاذَا عَنِ الْمُشْكِلَاتِ التِّي تَحْدُثُ بِالسُّكُوكِ الْحَدِيدِيَّةِ أَوْ فَقْدَانِ الطَّرِيقِ؟»
قالَ فِيلِيَاْس: «ذَلِكَ وُضُعَ فِي الْاعْتِبَارِ أَيْضًا؛ فَالْجَرِيدَةُ وَضَعَتْ كُلَّ شَيْءٍ فِي الْاعْتِبَارِ،
كُلُّ شَيْءٍ مُحْتَمِلٌ أَنْ يَسْوُءَ، وَكُلُّ تَأْخِيرٍ مُحْتَمِلٌ أَنْ يَحْدُثَ. يَحْتَاجُ السَّفَرُ حَوْلَ الْعَالَمِ
لِثَمَانِينَ يَوْمًا فَقَطْ.» وَوَضَعَ أَوْرَاقَهُ عَلَى الطَّاولةِ وَأَخْمَلَ: «وَرَقَتَانِ رَابِحَتَانِ! لَقَدْ رَبِحْتُ
هَذِهِ الْجَوْلَةَ!»

جَمِيعُ أندرو أَوْرَاقَ الْلَّعْبِ وَخَلَطَهَا وَوَزَّعَهَا وَقَالَ: «رُبَّما تَكُونُ عَلَى حَقٍّ، وَلَكِنِّي مَا
زِلتُ لَا أَصْدِقُ أَنَّ هَذَا مُمْكِنٌ يَا فِيلِيَاْس.»

أَجَابَ فِيلِيَاْس: «أَنَا أَعْلَمُ أَنَّهُ مُمْكِنٌ.»

ابْنِسَمْ أندرو وَقَالَ: «لَوْ كَانَ الْأَمْرُ كَذِلِكَ، فَمَا رَأَيْكَ أَنْ نَتَرَاهُنَّ؟ أَرَاهُنُ بِأَرْبَعَةِ آلَافِ
جُنْيَهِ اسْتَرْلِينِيٍّ عَلَى أَنَّهُ مِنَ الْمُسْتَحِيلِ السَّفَرُ حَوْلَ الْعَالَمِ فِي ثَمَانِينَ يَوْمًا فَقَطْ.»

أَصَرَّ فِيلِيَاْس: «إِنَّهُ مُمْكِنٌ جِدًّا.»

قَالَ أندرو: «إِذَنَ لِمَ لَا تَقُومُ بِذَلِكَ؟!»

أَجَابَ فِيلِيَاْس: «تَرُوْقِنِي هَذِهِ الْفِكْرَةُ كَثِيرًا، وَسَارِيكَ بِنَفْسِي أَنَّنِي أَسْتَطِيعُ السَّفَرَ
حَوْلَ الْعَالَمِ فِي ثَمَانِينَ يَوْمًا فَقَطْ.»

سَأَلَ أَنْدِرُو: «إِذْنَ فَأَنْتَ تَقْبِلُ رِهَانِي؟»

ابْتَسَمَ فِيلِيَاْسَ وَقَالَ: «بِالْطَّبْعِ، كَمَا أَنَّ لَدَيْ عِشْرِينَ الْفَ جُنْيَهُ اسْتِرْلِينِيٌّ فِي الْبَنْكِ أَنَا مُسْتَعِدٌ أَنْ أَرِاهُنَّ بِهَا».»

قَالَ صَمْوِيلُ: «تَوَقَّفًا، هَلْ أَنْتُمَا جَادَانِ؟»

صَاحَ أَنْدِرُو: «أَنَا جَادُ!»

وَقَالَ فِيلِيَاْسُ: «وَأَنَا كَذَلِكُ!»

فَقَالَ تُومَاسُ: «جَيِّدٌ جِدًا، نَحْنُ جَمِيعًا هُنَا لِنَشْهَدَ أَنَّ فِيلِيَاْسَ فَوْجَ سَيُحاوِلُ أَنْ يَرْبَحَ رِهَانَهُ مَعَ أَنْدِرُو سْتِيُوارْتَ بِالسَّفَرِ حَوْلَ الْعَالَمِ فِي ثَمَانِينَ يَوْمًا».»

قَالَ فِيلِيَاْسُ: «صَحِيحٌ! سَوْفَ أَقُوْمُ بِجُولَةٍ حَوْلَ الْعَالَمِ فِي ثَمَانِينَ يَوْمًا أَوْ أَقْلَىً.»

قَالَ الْخَمْسَةُ رِجَالٌ مَعًا: «جَيِّدٌ جِدًا!»

قَالَ فِيلِيَاْسُ: «جَيِّدٌ جِدًا! هُنَاكَ قِطَارٌ سَيُغَارِرُ اللَّيْلَةَ إِلَى مَدِينَةِ دُوفِرِ فِي الثَّامِنَةِ وَخَمْسٌ وَأَرْبَعِينَ دَقِيقَةً، سَأَكُونُ عَلَى مَنْتِهِ.»

سَأَلَهُ أَنْدِرُو: «مَسَاءَ الْيَوْمِ؟»

أَجَابَ فِيلِيَاْسُ: «نَعَمْ، مَسَاءَ الْيَوْمِ.» وَأَخْرَجَ رُوزَنَامَةَ تَقْوِيمِ صَغِيرَةً مِنْ جَيْبِهِ، وَنَظَرَ فِيهَا بِتَمْمُنٍ قَائِلًا: «الْيَوْمُ الْأَرْبِعَاءُ الْمُوافِقُ ٢ أُكْتُوبَرُ، وَسَوْفَ أُعُودُ إِلَى هَذِهِ الْغُرْفَةِ فِي تَمَامِ الثَّامِنَةِ وَخَمْسٌ وَأَرْبَعِينَ دَقِيقَةً مِنْ مَسَاءِ يَوْمِ السَّبْتِ الْمُوافِقِ ٢١ مِنْ دِيْسِمْبَرِ، وَإِلَّا فَسَتَكُونُ أَمْوَالِيِّ مُلْكًا لَكَ.»

وَكَعَادَةُ النُّبَلَاءِ، وَقَعَ الرِّجَالُ وَرَقَةً تُتْبِعُ الرِّهَانَ، وَحَافَظَ فِيلِيَاْسَ عَلَى هُدوِئِهِ بِالرَّغْمِ مِنْ أَنَّهُ كَانَ لِتَوْهٍ قَدْ رَاهَنَ بِنِصْفِ ثَرَوَتِهِ، ثُمَّ التَّنَقَطَ نَفَسًا عَمِيقًا وَقَالَ: «أَيُّهَا السَّادَةُ، لِنَلْعَبْ جَوْلَةً أُخِيرَةً مِنَ الْوَرَقِ قَبْلَ رَحِيلِيِّ.»

الفصل الثالث

فيلياس فوق يصدم خادمه الجديد

غادر فيلياس فوق نادي «ريفورم كلوب» في تمام السابعة وخمس وعشرين دقيقة، وعندما فتح باب منزله، نادى على خادمه الجديد بصوت مرتفع: «باسبارتو!» وعندما لم يتلق جواباً، صاح مرأة أخرى: «باسبارتو!»

صاح فيلياس مجدداً: «باسبارتو!» وظهر باسبارتو على عتبة باب غرفة النوم، فقال فيلياس: «لقد ناديك ثلاث مرات».

أجاب الخادم: «ولكن متنصف الليل لم يحن بعد، يا سيدي».

قال فيلياس: «أعلم، ولكننا سنغادر إلى دوفر في خلال عشر دقائق».

كسا وجهه باسبارتو ابتسامة حائرة وقال: «هل سيعادرسي في رحلة؟»

أجاب فيلياس: «نعم، ستدبر في رحلة حول العالم». ثم توقف لوهله واستطرد: «وعلينا العودة في غضون ثمانين يوماً». اتسعت عيناً باسبارتو من هول المفاجأة، ثم رفع حاجبيه وأمسك يديه في ذهول.

ثم قال من هول الصدمة: «جولة حول العالم؟

كرر فيلياس: «في ثمانين يوماً، وليس لدينا دقيقة لنسبيتها».

قال باسبارتو: «ولكن هذا ليس بوقت كافٍ لحزم صندوق أمتعتك يا سيدي».

- «لن نأخذ صناديق الامتنعة، فقط حقائب السفر القماشية وزوجين من الفحصان وثلاثة أزواج من الجوارب في كل حقيبة، سنشتري أي شيء آخر نحتاجه في الطريق».

غادرَ باسبارتو الغُرفةَ مَدْهُولاً. كَانَتِ الْحَقَائِبُ الْقُمَاشِيَّةُ صَغِيرَةً لِلْغاِيَةِ، بِالْكَادِ تَكُفِيَ مَا يَحْتَاجُهُ الْمَرءُ فِي رِحْلَةٍ تَسْتَغْرِقُ لَيْلَةً وَاحِدَةً. وَفَكَرَ باسبارتو: «حَوْلَ الْعَالَمِ، وَفِي ثَمَانِينَ يَوْمًا! هَلْ هَذَا السَّيِّدُ مَجْنُونٌ؟»

بِلْحُولِ الثَّامِنَةِ، كَانَ باسبارتو فَدَ حَزَمَ الْأَمْتَعَةَ، ثُمَّ أَفْلَقَ بَحْدَرَ بَابَ غُرْفَتِهِ وَنَزَلَ إِلَى الطَّابِقِ السُّفْلَى حَيْثُ كَانَ فِيلِياسُ مُنْتَظِرًا. كَانَ فِيلِياسُ يَضْعُفُ تَحْتَ ذِرَاعِيهِ تَلِيلِيَّ سَفَرٍ، أَحَدُهُمَا لِخُطُوطِ السَّكِّينَ الْحَدِيدِيَّةِ وَالْأَخْرُ لِلسُّفْنِ، ثُمَّ وَضَعَ الْكِتَابَيْنِ وَمَحْفَظَتَهُ فِي الْحَقِيقَةِ الْقُمَاشِيَّةِ الَّتِي قَدَّمَهَا لَهُ باسبارتو.

سَأَلَ فِيلِياس: «أَلَمْ تَنْسَ شَيْئًا؟»

أَجَابَ باسبارتو: «وَلَا أَيَّ شَيْءٍ يَا سَيِّدي.»

سَأَلَ فِيلِياس: «قُبَعَتِي وَمَعْطَفِي؟»

أَعْطَاهُمَا باسبارتو لَهُ قَائِلًا: «هَا هُمَا يَا سَيِّدي.» أَخَذَ فِيلِياسُ قُبَعَتَهُ وَمَعْطَفَهُ وَأَعْطَى حَقِيقَتَهُ لِخَادِيمِهِ قَائِلًا: «الآنَ انْتَهُ لِحَقِيقَتِي جَيِّدًا؛ فِيهَا عِشْرُونَ آلْفَ جُنَاحٍ!» صُدِمَ باسبارتو حَتَّى إِنَّهُ كَادَ يُوْقَعُ الْحَقِيقَةَ.

خَرَجَ الْإِثْنَانِ مِنَ الْمُنْزَلِ وَاسْتَقَلاً سِيَارَةً أَجْرَةً كَانَتْ بِاِنْتِظَارِهِمَا. أَقْلَتُهُمَا السَّيَارَةُ مُبَاشِرَةً إِلَى مَحَطةِ السَّكِّينَ الْحَدِيدِيَّةِ، وَفَوْرًا دُخُولِهِمَا اسْتَرَى فِيلِياسُ التَّذَاكِرَ.

فِي تَمَامِ التِّاسِعَةِ إِلَّا عِشْرِينَ دَقِيقَةً، عَثَرَ فِيلِياسُ وَباسبارتو عَلَى مَقْعَدَيْهِمَا فِي عَرَبَةِ الدَّرَجَةِ الْأُولَى، وَكَانَا قَدْ وَصَلَا إِلَى الْقِطَارِ وَلَا يَرَأُلُ أَمَامَهُمَا خَمْسُ دَقَائِقٍ إِضَافِيَّةً. كَانَ باسبارتو يَتَشَبَّثُ بِشَدَّةٍ بِحَقِيقَةِ السَّفَرِ الَّتِي تَحْوِي أَمْوَالَ سَيِّدِهِ، وَكَانَ لَا يَرَأُلُ لَا يُصَدِّقُ مَا يَحْدُثُ. وَدَوَّى صَفِيرُ الْقِطَارِ مُعْلِنًا بَدْءَ رَحْلَتِهِمَا!

الفصل الرابع

التَّعْرُفُ إِلَى الْمُحَقَّقِ فِيكس

ها قد بدأَتِ الرِّحْلَةُ الْعَاصِفَةُ! بعد أَربَعةِ أَيَّامٍ فَقَطْ مِنَ السَّفَرِ كَانَ فِيلِيَاسْ وَبِاسْبَارْتوْ قد غَادَهَا أُورُوبَا، حَيْثُ سَافَرَا بِالْقِطَارِ إِلَى دُوْفِرْ وَمِنْهَا أَبْحَرَا إِلَى بَارِيسَ، وَمِنْ بَارِيسَ اسْتَقَلَّا قِطَارًا إِلَى تُورِينُو فِي إِيطَالِيَا، وَحَمَلُوهُمَا قِطَارًا آخَرًّا مِنْ إِيطَالِيَا إِلَى بَرِينِيدِيزِي حَيْثُ صَعِدَا عَلَى مَتنِ بَاحِرَةٍ تُدْعَى «مَنْغُولِيَا».

كَانَ مِنَ الْمُقَرَّرِ وَصُولُ الْبَاخِرَةِ «مَنْغُولِيَا» إِلَى مِيَاءِ السُّوَيْسِ يَوْمَ الْأَرْبَعَاءِ الْمُوَافِقِ التَّاسِعِ مِنْ أُكْتُوبَرِ فِي تَمَامِ الْحَادِيَةِ عَشْرَةَ صَبَاحًا؛ إِذْ إِنَّهَا كَانَتْ مِنْ أَسْرَعِ الْبَوَاحِرِ الَّتِي تَمْلِكُهَا شَرِكَةُ «بِنِينِسُولَارْ آندْ أُورِينِتَالْ».

وَبَيْنَمَا كَانَتِ الْبَاخِرَةُ تُبْحِرُ فِي اتِّجَاهِ السُّوَيْسِ، كَانَ هُنَاكَ رَجُلَانِ يَسِيرَانِ جِيَّثَةً وَذَهَابًا فِي الْقَنَاءِ، وَكَانَ مِنْهُمَا الدِّبلُومَاسِيُّ الْبِرِيطَانِيُّ لِلْمِنْطَقَةِ، وَيُدْعَى سَتِيفِنْسُونَ، وَالْآخَرُ كَانَ أَحَدَ الْمُحَقِّقِيْنَ الَّذِيْنَ أَرْسَلَهُمْ بَنْكُ إِنْجِلِيتَرَا حَوْلَ الْعَالَمِ لِلْبَحْثِ عَنِ الْلَّصِّ السَّارِقِ، وَكَانَ يُدْعَى الْمُفْتَشِ فِيكس.

كانَ السَّيِّدُ فِيكِسْ قَصِيرَ الْقَامِةِ، ذَا عَيْنَيْنِ ضَيِّقَتِينِ، وَحَوَاجِبَ كَثِيفَةَ تَنْتَفِضُ بِإِسْتِمَارٍ بِشَكْلٍ لَا إِرَادِيٍّ. وَبِالرَّغْمِ مِنْ مَظْهَرِهِ الَّذِي يَجْعَلُهُ يُشْبِهُ الْفَأْرَ، فَقَدْ كَانَ مُحْقَقاً ذَكِيًّا، وَكَانَتْ مُهَمَّتُهُ أَنْ يُرَاقِبَ كُلَّ رَاكِبٍ يَأْتِي إِلَى السُّوَيْسِ، وَعَيْنِهِ أَنْ يُبْلِغَ عَنْ أَيِّ شَخِصٍ قَدْ يَشْتَبِهُ أَنَّهُ الْلُّصُ.

وَكَانَ فِيكِسْ يَقُولُ لِلْمَرَأَةِ الْعِشْرِينَ: «حَسَنًا يَا سْتِيفِنْسُونَ، أَتَقُولُ إِنَّ هَذِهِ الْبَاخِرَةَ تَصِلُّ «دَائِمًا» فِي مَوْعِدِهَا؟»

تَنَاهَدَ السَّيِّدُ سْتِيفِنْسُونُ: «نَعَمْ يَا سَيِّدُ فِيكِسْ، هَذَا صَحِيحٌ، وَفِي بَعْضِ الْأَحْيَانِ تَصِلُ الْبَاخِرَةُ «مَنْغُولِيَا» قَبْلَ مَوْعِدِهَا.

سَأَلَ الْمُحَقِّقُ: «وَهَلْ تَأْتِي مُبَاشِرَةً مِنْ بَرِينْدِيزِيِّ فِي إِيطَالِيَا؟»

قَالَ سْتِيفِنْسُونُ: «مَرَأَةُ أُخْرَى، هَذَا صَحِيحٌ؛ فَالسَّفِينَةُ تَجْمَعُ الْبَرِيدَ ثُمَّ تُغَادِرُ فِي الْخَامِسَةِ مِنْ مَسَاءِ يَوْمِ السَّبْتِ، وَالْمَوْاعِيدُ لَا تَتَغَيِّرُ أَبَدًا. «مَنْغُولِيَا» سَتَصِلُ هُنَا فِي تَنَاءِ الْحَادِيَةِ عَشْرَةَ، تَحَلُّ بِالصَّبَرِ يَا سَيِّدُ فِيكِسْ. وَعَلَى أَيِّهِ حَالٍ، فَأَنَا لَا أَفْهَمُ كَيْفَ سَتَمْكُنُ مِنْ الْعُنُورِ عَلَى الرَّجُلِ الَّذِي تَبْحَثُ عَنْهُ بِالْمُوَاصِفَاتِ الَّتِي لَدِيهَا عَنْهُ، فَمَنْ الْمُمْكِنُ أَنْ يَكُونَ أَيِّ شَخِصٍ؛ إِذْ إِنَّ هُنَاكَ الْعَدِيدُ مِنَ النُّبَلَاءِ الَّذِينَ يَأْتُونَ إِلَى هُنَا مِنْ إِيطَالِيَا.»

أَجَابَ فِيكِسْ سَرِيعًا: «نَعَمْ! وَلَكِنْ يَا سَيِّدِي، الْمَرْءُ يُمْكِنُهُ أَنْ يَشْعُرَ عِنْدَمَا يَكُونُ بِصُحْبَةِ أَشْرَارٍ، فَلَدَيْهِ قُوَّةٌ إِحْسَاسٌ بِهِمْ، حَاسَّةٌ سَادِسَةٌ تَمْرُجُ السَّمْعَ وَالنَّظَرَ وَالشَّمَ! وَهَكَذَا أَسْتَطِيعُ أَنْ أُمِّزِهِ.

سَأَلَ سْتِيفِنْسُونُ: «حَتَّى إِذَا كَانَ رَجُلًا مِنَ النُّبَلَاءِ؟»

قَالَ فِيكِسْ: «سَوْفَ أَشْمُرُ رَأْيَهُ هَذَا الرَّجُلُ حَتَّى وَلَوْ كَانَ مِنَ النُّبَلَاءِ!» كَانَتِ السَّاعَةُ تُشِيرُ إِلَى الْعَاشرَةِ وَالنِّصْفِ عِنْدَمَا بَدَأَ الرَّصِيفُ فِي الْإِزْدِحامِ، حَيْثُ مَرَ الْبَحَارَةُ وَالْتُّجَارُ وَبَنَاءُو السُّفُنِ وَالْحَمَالُونَ، وَكَانَ الْمُحَقِّقُ فِيكِسْ يَتَفَحَّصُ بِحَدَّرٍ كُلَّ

شَخِصٍ يَمُرُ بِجَانِيهِ، ثُمَّ قَالَ: «لَمْ تَأْتِ «مَنْغُولِيَا» بَعْدًا!»

كَرَرَ سْتِيفِنْسُونُ: «سَتَصِلُ السَّفِينَةُ فِي مَوْعِدِهَا الْمُحَدَّدِ.»

سَأَلَ فِيكِسْ: «كَمْ مِنَ الْوَقْتِ سَتَظُلُّ فِي السُّوَيْسِ؟»

أَجَابَ سْتِيفِنْسُونُ: «لِأَرْبَعِ سَاعَاتٍ حَتَّى تَنَزَّوَدُ بِحُمُولَةٍ جَدِيدَةٍ مِنَ الْفَحْمِ.»

- «وَحِينَها تُبْرِرُ الْبَاخِرَةُ مُبَاشِرَةً إِلَى بُومَبَايِ؟»

فَقَالَ سِتِيفِنْسُونُ: «إِنَّهَا تَتَوَقَّفُ فِي عَدْنٍ لِلتَّرْزُودِ بِالْفَحْمِ، ثُمَّ تَتَجَهُ بَعْدَ ذَلِكَ مُبَاشِرَةً إِلَى بُومِبَايِ».»

فَقَالَ فِي كِس: «جَيِّدٌ، فَإِنَّا كَانَ اللَّصُ عَلَى مَنْتِهَا، فَعَالَبَا مَا سَيْنَزُلُ هُنَا لِيَتَحَمَّلَ إِلَى آسِيَا حَيْثُ لَا يُمْكِنُ إِلَقاءُ الْقَبْضِ عَلَيْهِ، بَدَلًا مِنَ الْهِنْدِ الَّتِي تُعْدُ جُزْءًا مِنْ إِمْبِراطُورِيَّةِ الْمُلْكَةِ». فَأَجَابَهُ سِتِيفِنْسُونُ: «هَذَا إِنْ لَمْ يَكُنْ قَدْ مَكَثَ فِي إِنْجِلِيزْتَرَا لِلْأَخْتِبَاءِ.»

فَقَالَ فِي كِس: «هَذَا غَيْرُ مُرَجَّحٍ! غَيْرُ مُرَجَّحٍ!»

عَادَ سِتِيفِنْسُونُ إِلَى مَكْتَبِهِ بَيْنَمَا ظَلَّ فِي كِس وَحْدَهُ عَلَى الرَّصِيفِ، وَظَلَّ يَجُوبُ الرَّصِيفَ ذَهَابًا وَإِيَابًا مُفْكَرًا، وَسُرْعَانَ مَا سَمِعَ دَوِيًّا عَدِيدًا مِنَ الصَّافِرَاتِ الْحَادِهَةِ مُعْلَنَةً وُصُولَ الْبَاهِرَةِ «مِنْغُولِيَا»! أَسْرَعَ الْحَمَالُونَ إِلَى الرَّصِيفِ وَخَرَجَ عَدْدٌ مِنَ الْقَوَارِبِ لِلْقَاءِ الْبَاهِرَةِ. أَلْقَتْ «مِنْغُولِيَا» مَرْسَاهَا فِي السُّوَيْسِ فِي نَهَامِ الْحَادِيَّةِ عَشْرَةً كَمَا قَالَ سِتِيفِنْسُونُ. تَرَاجَعَ فِي كِس قَلِيلًا وَرَاقَبَ الْجَمِيعَ، ثُمَّ جَاءَهُ أَحَدُ الرُّكَابِ بَعْدَ أَنْ شَقَ طَرِيقَهُ فِي الزَّحَامِ إِلَيْهِ ... إِنَّهُ باسِبَارْتُو.

- «عُذْرًا يَا سَيِّدي، أَيْنَ أَحَدُ مَكْتَبِ الْجَوَارِاتِ الْبِرِيطَانِيِّ؟ وَهُوَ يَمْدُ يَدَهُ بِجَوَازِ سَفَرٍ يَحْتَاجُ إِلَى الْخُتْمِ.»

أَحَدُ الْمُحَقِّقِ جَوَازِ السَّفَرِ وَسَأَلَ: «أَهُوَ لَكَ؟»

فَقَالَ باسِبَارْتُو: «لَا يَا سَيِّدي، إِنَّهُ لِسَيِّدي، رَبُّ عَمَليِّ.»

سَأَلَهُ فِي كِس: «وَمَنْ سَيِّدُكَ؟»

أَجَابَ باسِبَارْتُو: «السَّيِّدُ فِيلِيَاـسْ فُوج، وَهُوَ عَلَى مَنْتِنِ السَّفِينَةِ.»

فَقَالَ فِي كِس: «حَسَنًا، عَلَيْهِ الْذَّهَابُ بِنَفْسِهِ إِلَى الدُّبْلُومَاسِيِّ الْبِرِيطَانِيِّ لِخُتْمِ جَوَازِ سَفَرِهِ. إِنَّهُ هُنَاكَ، ذَلِكَ الْمَكْتُبُ عِنْدَ الزَّاوِيَّةِ.»

- «شُكْرًا لَكَ يَا سَيِّدي، إِنَّهُ لَنْ يَكُونَ مَسْرُورًا بِهَذَا أَبْدًا!»

شَقَّ باسِبَارْتُو طَرِيقَهُ فِي الزَّحَامِ عَائِدًا لِيُلْيِلَّغْ فِيلِيَاـسْ أَنَّ عَلَيْهِ الْذَّهَابَ بِنَفْسِهِ إِلَى الْمَكْتُبِ، كَمَا شَقَّ فِي كِس كَذَلِكَ طَرِيقَهُ إِلَى الْمَكْتُبِ بِالْزَّاوِيَّةِ؛ فَقَدْ كَانَ يَشْعُرُ بِالْفُضُولِ تِجَاهَ الرَّجُلِ الَّذِي أَرْسَلَ حَادِمَهُ لِيُخْتَمِ جَوَازَ سَفَرِهِ.

وَفَكَرَ فِي كِس: «لَا بُدَّ وَأَنَّهُ هُوَ اللَّصُ، وَلَا يُرِيدُ أَنْ يَرَاهُ أَحَدًا!»

«لَقَدْ وَجَدْتُهُ!» هَكَذَا صَاحَ فِي كِسْ فَوْرُ دُخُولِهِ إِلَى مَكْتَبِ الدِّبْلُومَاسِيِّ، وَاسْتَطَرَدَ: «لَقَدْ صَدَقْتُ طُنُونِي، إِنَّهُ عَلَى مَتْنِ «مِنْغُولِيا»، وَسَيَأْتِي إِلَيْهِ هُنَا لِخَتْمِ جَوَازِ سَفَرِهِ، وَقَدْ قَابِلْتُ لِلنَّوْ خَادِمَهُ الَّذِي قَالَ إِنَّ رَئِيسَهُ يَرْفُضُ النُّزُولَ مِنْ عَلَى مَتْنِ السَّفِينَةِ، وَقَدْ أَخْبَرْتُ الْخَارِمَ أَنَّ سَيِّدَهُ يَجِبُ أَنْ يَحْضُرَ بِنَفْسِهِ! إِنَّهُ فِي قَبْضَتِنَا الْآنَ!»

قَالَ سَتِيفِنْسُونُ: «أَنْتَ تَعْلَمُ أَنَّهُ قَدْ لَا يَأْتِي!»

قَالَ لَهُ فِي كِسْ: «إِذَا جَاءَ، فَعَلَيْكَ لَا تَخْتِمْ جَوَازَ سَفَرِهِ.»

قَالَ سَتِيفِنْسُونُ: «وَلَكِنْ لَيْسَ لَدَيِّ خِيَارٍ إِذَا كَانَ جَوَازُ سَفَرِهِ سَلِيمًا.»

قَالَ فِي كِسْ: «أُرِيدُ أَنْ أَجْعَلَ هَذَا الرَّجُلَ يَمْكُثُ هُنَا حَتَّى أَحْصُلَ عَلَى أَمْرٍ بِالْقَبْضِ عَلَيْهِ.»

- «وَلَكِنْ لَا أَسْتَطِيعُ ...» أَوْقَفَتْ طَرَقَاتُ عَلَى بَابِ الْمَكْتَبِ كَلَامَ الدِّبْلُومَاسِيِّ فِي مُنْتَصِفِهِ، ثُمَّ دَخَلَ باسِبارْتُو وَفِيلِيَاسِ الْغُرْفَةَ، وَوَقَفَ فِي كِسْ فِي الزَّاوِيَةِ يُرَاقِبُ فِيلِيَاسَ وَهُوَ يُقْدِمُ جَوَازَ سَفَرِهِ.

وَقَالَ فِيلِيَاسُ: «سَيِّدِي الْفَاضِلَ، هَلْ مِنَ الْمُمْكِنِ أَنْ تَخْتِمْ جَوَازَ سَفَرِي؟»

أَخْدُهُ سَتِيفِنْسُونُ مِنْهُ وَتَفَحَّصَهُ ثُمَّ قَالَ: «إِنَّكَ تُدْرِكُ أَنَّهُ لَيْسَ مِنَ الضَّرُورِيِّ خَتْمُ جَوَازِ سَفَرِكَ؟» وَكَانَ عَلَى وَشْكٍ أَنْ يُعِيدَ جَوَازَ السَّفَرِ إِلَى فِيلِيَاسَ.

- «أَعْلَمُ، وَلَكِنِّي أُرِيدُ أَنْ أُثْبِتَ أَنَّنِي كُنْتُ هُنَا.»

خَتَمَ سَتِيفِنْسُونُ جَوَازَ السَّفَرِ وَأَرْخَهُ، وَدَفَعَ فِيلِيَاسَ الرُّسُومَ الْمُقَرَّرَةَ ثُمَّ انْحَنَى انْحِنَاءً بِسِيَطَةٍ فِي احْرَامٍ ثُمَّ انْصَرَفَ.

قَالَ فِي كِسْ: «حَسَنًا؟»

قَالَ سَتِيفِنْسُونُ: «إِنَّهُ يَبْدُو كَرْجُلٌ شَرِيفٌ، وَيَتَصَرَّفُ كَهَذَا أَيْضًا.»

سَأَلَ فِي كِسْ: «وَلَكِنْ لَا تَعْقِدُ أَنَّهُ يُشْبِهُ الْلَّصَ بِالضَّبْطِ؟»

قَالَ سَتِيفِنْسُونُ: «أَعْتَقَدُ هَذَا، وَلَكِنَّ هَذَا الْوَصْفُ عَامٌ لِلْغاِيَةِ يَا فِي كِسْ.»

قَالَ فِي كِسْ: «إِنَّهُ هُوَ! أَنَا أَعْلَمُ أَنَّهُ هُوَ!»

تَتَّبَعَ فِي كِسْ عَوْدَةَ فِيلِيَاسَ وَبا سِبَارتُو مَرَّةً أُخْرَى إِلَى الرَّصِيفِ، وَقَدْ عَادَ فِيلِيَاسَ إِلَى سَطْحِ «مِنْغُولِيا»؛ إِذَا كَانَ يَرْغُبُ فِي تَدْوِينِ بَعْضِ الْمُلَاحَظَاتِ عَنْ سَيِّرِ الرُّحْلَةِ، بَيْنَمَا ظَلَّ باسِبارْتُو عَلَى الرَّصِيفِ لِلتَّأْمِيلِ.

فَذَهَبَ إِلَيْهِ فِي كِس وَقَالَ: «هَلْ تَتَأَمَّلُ الْمَكَانَ؟»
أَجَابَ بَا سِبَارْتُو: «إِنَّا نُسَافِرُ فِي عَجَلَةٍ وَأَزْغَبُ فِي رُؤْيَا مَا يُمْكِنُنِي. إِذَنْ، هَذِهِ هِيَ مَصْرُ؟»

- «نَعَمْ، هَذِهِ هِيَ مَصْرُ.»

- «تَقْعُ فِي أَفْرِيقِيَا؟»

أَجَابَهُ فِي كِس: «نَعَمْ.»

تَعَجَّبَ بَا سِبَارْتُو وَقَالَ: «أَفْرِيقِيَا! إِنِّي لَمْ أُسَافِرْ قَطْ قَبْلَ ذَلِكَ أَبْعَدَ مِنْ بَارِيسَ، إِنَّا وَطَنِي وَلَكِنَّا مَرَرْنَا بِهَا بِسُرْعَةٍ لِدَرَجَةٍ أَنِّي لَمْ أُشَاهِدْ إِلَّا الرُّحْلَةَ بَيْنَ الْمَحَاطَةِ الشَّمَالِيَّةِ وَمَحَاطَةِ لِيُونَ.»

سَأَلَ فِي كِس: «إِنَّكَ فِي عَجَلَةٍ مِنْ أَمْرِكَ إِذَنْ؟» وَكَانَ يُحَاوِلُ أَلَّا يَطْرَحَ الْكَثِيرَ مِنْ الْأَسْئَلَةِ.

أَجَابَ بَا سِبَارْتُو: «كَلَّا، إِنَّهُ سَيِّدِي وَلَيْسَ أَنَا، فَهُوَ يَقُومُ بِجَوْلَةٍ حَوْلَ الْعَالَمِ.»

قَالَ فِي كِس: «جَوْلَةٌ حَوْلَ الْعَالَمِ!»

قَالَ بَا سِبَارْتُو: «نَعَمْ فِي ثَمَانِينَ يَوْمًا، وَهُوَ يَقُولُ إِنَّهُ رِهَانُ، وَلَكِنْ بَيْتِي وَبَيْتَكَ أَنَا لَسْتُ مُتَكَلِّدًا مِنْ ذَلِكَ، لَا بُدَّ وَأَنْ هُنَاكَ أَمْرًا آخَرَ.»

أَضَافَ فِي كِس: «بِالظَّبْعِ!»

- «سَيِّدِي رَجُلُ ثَرِيُّ، وَهُوَ يَحْمِلُ مَبْلَغاً كَيْرِاً مِنَ الْأَوْرَاقِ الْبَنِكِيَّةِ الْجَدِيدَةِ، وَسَيَفْعَلُ أَيَّ شَيْءٍ لِرِبَاحِ الرِّهَانَ.»

قَالَ فِي كِس مَرَّةً أُخْرَى: «بِالظَّبْعِ! هَلْ تَعْرِفُ السَّيِّدَ فوج مُنْذُ وَقْتٍ طَوِيلٍ؟»

قَالَ بَا سِبَارْتُو: «لَا، لَقَدْ بَدَأْتُ الْعَمَلَ لَدِيهِ فِي نَفْسِ الْيَوْمِ الَّذِي غَاءَرْنَا فِيهِ. عَلَيَّ أَنْ أَذْهَبَ أَلَآنَ؛ فَيَجِبُ أَنْ أَشْتَرِي بَعْضَ الْقُمْصَانَ الْجَدِيدَةِ لِسَيِّدِي قَبْلَ عَوْدَتِي عَلَى ظَهَيرِ السَّفِينَةِ؛ فَنَحْنُ فِي طَرِيقَنَا إِلَى بُومِبَايِ بَعْدَ ذَلِكَ!»

كَانَ تَدْفُقُ الْحَقَائِقِ أَغْزَرَ مِنْ أَنْ يَسْتَوْعِبَهُ فِي كِس؛ فَالسَّفَرُ السَّرِيعُ مِنْ لَندَنَ وَالْمَبْلَغُ الْمَالِيُّ الصَّحْمُ الَّذِي يَحْمِلُهُ فِيلِيَّاسُ فوج، وَكَذِلِكَ حَقِيقَةُ أَنَّ فِيلِيَّاسَ يُرِيدُ السَّفَرَ بِسُرْعَةٍ إِلَى دُولٍ بَعِيَّدةٍ، نَاهِيَكَ عَنْ أَنَّهُ مُطَابِقٌ لِمُواصِفَاتِ اللَّصِّ؛ إِذْ إِنَّهُ مِنَ الْبُلَاءِ. هُرَّعَ فِي كِس إِلَى مَكْتَبِ الدِّبلُومَاسِيِّ لِيُرِسْلَ بَرْفِيَّةً إِلَى لَندَنَ.

الْقَى فِي كِس نَظَرَةً مُتَائِنَةً عَلَى التَّلْغُرَافِ قَبْلَ أَنْ يُعْطِيهِ إِلَى الْمُوَظَّفِ، وَجَاءَ فِيهِ:

مِنَ السُّوَيْسِ إِلَى لَندَنَ

إِلَى: السَّيِّدِ رُونَ، قَائِدِ الشُّرُطَةِ، سُكُوتَلَانْدِ يَارِد

مِنَ الْمُحَقِّقِ فِي كِس

لَقَدْ عَنِّتُ عَلَى لِصِّ الْبَنْكِ. إِنَّهُ فِيلِيَا سِ فُوجِ.

أَرْسَلْ أَمْرًا بِالْقَبْضِ عَلَيْهِ إِلَى بُومَبَايِ؛ فَسَوْفَ أُقَابِلُهُ هُنَاكَ.

الفصل الخامس

فِيلِيَاْسُ فَوْجُ يُسَافِرُ عَبْرَ الْبَحْرِ الْأَحْمَرِ وَالْمُحِيطِ الْهِنْدِيِّ

غَادَرَتِ الْبَاهِرَةُ «مَنْغُولِيَا» السُّوَيْسِ فِي مَوْعِدِهَا — فِي تَمَامِ التَّالِثَةِ عَصْرًا حَسْبَ التَّوْقِيَّةِ الْمَحَلِّيِّ — وَبِدَاءُ رِحْلَتِهَا إِلَى عَدَنَ لَمْ يَكُنْ تَرْتُ فِيلِيَاْسُ فَوْجٌ كَثِيرًا بِمُشَاهَدَةِ الْمُنَاظِرِ الطَّبِيعِيَّةِ، وَلِذَلِكَ قَضَى قَلِيلًا مِنَ الْوَقْتِ عَلَى سَطْحِ الْبَاهِرَةِ، وَعَوْضًا عَنْ ذَلِكَ أَمْضَى مُعْظَمَ وَقْتِهِ كَمَا كَانَ يَفْعَلُ فِي نَادِيِّ «رِيفُورْمِ كَلُوبِ»: يَتَنَاهُ وَجْهَاتِهِ وَيَلْعَبُ الْوَرَقَ عَلَى النَّقِيسِ مِنْ رَئِيْسِهِ، كَمَا يَسْبِرُتُو يَسْتَمْتَعُ حَقًّا بِالْمُنَاظِرِ الطَّبِيعِيَّةِ، وَكَانَ يَتَحَيَّنُ كُلًّا فُرْصَةً لِلصُّعُودِ عَلَى ظَهِيرِ الْبَاهِرَةِ لِمُشَاهَدَةِ مَا يَمْرُونَ بِهِ.

وَفِي يَوْمٍ مَا، بَيْنَمَا كَانَ يَقُومُ بِمَهَامِهِ الْيَوْمِيَّةِ الْعَادِيَّةِ، قَابِلَ الْمُحَقَّقَ فِيكِسَ.

قَالَ يَاسِبَارُتُو: «مَرْحَبًا، إِنَّكَ النِّيْلُ الطَّبِيبُ الَّذِي قَابَلْتُهُ فِي السُّوَيْسِ.»

قَالَ فِيكِسَ: «وَأَنْتَ خَادِمُ ذَلِكَ الرَّجُلِ الإِنْجِلِيزِيِّ غَرِيبِ الْأَطْوَارِ!»

— «هَذَا صَحِيحٌ يَا سَيِّدُ ...»

— فِيكِسَ.»

كَرَرَ يَاسِبَارُتُو: «فِيكِسَ، أَنَا سَعِيدٌ لِرُؤُيَتِكَ عَلَى مَتْنِ السَّفِينَةِ. إِلَى أَيْنَ تَذَهَّبُ؟»

— «إِلَى بُومِبَايِّ.»

سَأَلَ يَاسِبَارُتُو: «حَقًّا، إِنَّهَا وِجْهَتُنَا نَحْنُ أَيُّضًا! هَلْ رَزَّتِ الْهِنْدُ مِنْ قَبْلُ؟»

أَجَابَهُ فِيكِسَ أَنَّهُ بِالْطَّبِيعِ قَدْ زَارَ الْهِنْدَ مِنْ قَبْلُ، وَأَنَّهُ — لِيُخْفِي هُوَيَّتَهُ الْحَقِيقِيَّةَ كُحْمَقٌ فِي لَندَنَ — وَكِيلُ لَدَى شَرِكَةِ بِنِيْسُولَارِ آنَدُ أُورِينَتَالْ، وَهِيَ الشَّرِكَةُ الْمَالِكَةُ

للسَّفِينَةِ «منغوليَا». وَسُرْعَانَ مَا أَصْبَحَ الرَّجْلَانِ صَدِيقِيْنِ وَبَدَا يَتَمَشَّيَا مَعًا يَوْمِيًّا عَلَى ظَهْرِ السَّفِينَةِ، وَبَيْنَمَا كَانَا يَسِيرَانِ مَعًا كَانَا يَتَحَدَّثَانِ عَمَّا قَدْ تَكُونُ عَلَيْهِ الْحَيَاةِ فِي الْهَنْدِ. حَاوَلَ فِيْكِسْ أَنْ يَسْتَدِرِّجَ بِاسْبَارْتُو لِيَتَحَدَّثَ أَكْثَرَ عَنْ فِيلِيَا سِفَرِهِ وَجَوْلِيَّهُ الْغَرِيبِيَّةِ حَوْلَ الْعَالَمِ، وَكَانَ بِاسْبَارْتُو يُحِبُّ دَائِمًا بِصَرَاحَةٍ، وَلَكِنَّهُ لَمْ يَكُنْ يَعْلَمُ الْكَثِيرَ، وَلَمْ تَكُنِ الْمَعْلُومَاتُ الْقَلِيلَةُ الَّتِي يُمْكِنُ أَنْ يُشارِكُهُ إِيَاهَا ذَاتَ الْأَهْمَيَّةِ لِلْمُحَقَّقِ فِيْكِسْ.

وَبَيْنَمَا كَانَتْ «منغوليَا» تَشْقُ طَرِيقَهَا فِي عُرْضِ الْبَحْرِ، مَرُوا بِمِدِيَّنَ الْمَخَاءِ، وَعَبَرُوا مَضِيقَ بَابِ الْمَنْدَبِ، ثُمَّ تَوَقَّفُوا فِي عَدْنِ لِلتَّزُودِ بِالْفَحْمِ. وَكَانُوا لَا يَرَأُونَ عَلَى بُعْدِ سِتَّمَائَةِ مِيلٍ مِنْ بُومِبَايِ.

ذَهَبَ فَوْجَ مَرَّةً أُخْرَى إِلَى الرَّصِيفِ لِخَتْمِ جَوَازِ سَفَرِهِ وَعَادَ إِلَى السَّفِينَةِ، بَيْنَمَا كَانَ بِاسْبَارْتُو يَتَجَوَّلُ لِيُلْقِي نَظَرَةً عَلَى الْمَكَانِ. وَفِي تَمَامِ السَّاعَةِ السَّادِيَّةِ عَادَتِ الْبَاحِرَةُ لِتَشْقُ طَرِيقَهَا فِي عُرْضِ الْمُحِيطِ، وَكَانَتِ الرُّحْلَةُ مِنْ عَدْنِ إِلَى بُومِبَايِ سَتَّسَعِرُقُ سَبْعَةَ أَيَّامٍ فَقَطْ. وَكَانَ الْمُحِيطُ الْهِنْدِيُّ هَادِئًا، وَحَقَّقَتْ «منغوليَا» وَقْتًا قِيَاسِيًّا؛ إِذْ وَصَلَتْ قَبْلَ مَوْعِدِهَا بِيَوْمَيْنِ.

عِنْدَمَا رَسَتِ السَّفِينَةُ فِي الْمِيَاءِ، دَوَنَ فِيلِيَا سِفَرِهِ فِي دَفْتِرِهِ الْيَوْمَيْنِ الَّذِيْنِ رَبَحَهُمَا مِنْ وُصُولِ السَّفِينَةِ مُبَكِّرًا، كَمَا دَوَنَ كَذَلِكَ الْوَقْتَ وَعَدَدَ الْأَمْيَالِ الَّتِي قَطَّعُوهَا.

بَعْدَ أَنْ وَدَعَ فِيلِيَا شُرَكَاءَهُ فِي الْلَّعِبِ عَلَى مَتْنِ «منغوليَا»، كَلَّفَ بِاسْبَارْتُو بِبَعْضِ الْمَهَامِ، وَشَرَعَ هُوَ فِي الْبَحْثِ عَنْ مَكْتَبِ الْجَوَازَاتِ. وَكَانَ مَعْهُمَا بِالْفَعْلِ تَدَاكِنُ لِلْسُّكُوكِ الْحَدِيدِيَّةِ الَّتِي تَقْطَعُ الْهِنْدَ مِنْ بُومِبَايِ إِلَى كَلِكتَا، وَكَانَ مِنَ الْمُقْرَرِ أَنْ يَبْدَا الْقِطَاطُرِ رِحْلَةً فِي تَمَامِ السَّاعَةِ التَّاسِمَةِ مِنْ ذَلِكَ الْمَسَاءِ، وَأَكَّدَ فِيلِيَا سِفَرِهِ عَلَى بِاسْبَارْتُو أَنْ يَعُودَ قَبْلَ ذَلِكَ الْوَقْتِ. اتَّجَهَ فِيلِيَا إِلَى مَحَطَّةِ السُّكُوكِ الْحَدِيدِيَّةِ لِيَتَنَاوِلَ غَدَاءَهُ حَامِلًا جَوَازَ سَفَرِهِ الْمَخْتُومِ فِي يَدِهِ، أَمَّا فِيمَا يَتَعَلَّقُ بِعَجَائِبِ بُومِبَايِ، فَلَمْ يَكُنْ يَكْرَثُ حَقًا لِرُؤْيَتِهَا.

وَبَيْنَمَا كَانَ فِيلِيَا يُحَاوِلُ تَنَاوِلَ وَجْبَةَ سَيِّنَةِ الْلِّغَائِيَّةِ مِنْ لَحْمِ غَرِيبٍ، اتَّجَهَ فِيْكِسْ لِيَبْحَثَ عَنْ قِسْمٍ شُرْطَةٍ بُومِبَايِ، وَأَخْبَرَهُمْ أَنَّهُ مُحَقَّقٌ مِنْ لَدُنْ يَتَعَقَّبُ لِصًا، وَأَرَادَ أَنْ يَعْرِفَ إِذَا مَا كَانَتْ مُذَكَّرَةً إِلَقاءِ الْقَبْضِ عَلَى ذَلِكَ الْلَّصِّ قَدْ وَصَلَتْ أَمْ لَا. لِكِنَّهُ لَمْ تَصلْ، فَحَاوَلَ فِيْكِسْ إِقْنَاعَ الشُّرْطَةِ بِكِتَابَةِ مُذَكَّرَةٍ أُخْرَى، وَلَكِنَّهُمْ رَفَضُوا وَقَالُوا إِنَّ ذَلِكَ الْأَمْرَ

شَانُ شُرْطَةٌ لَدْنَنْ؛ فَلَمْ يُجَادِلُهُمْ فِي كِسْ؛ لِأَنَّهُ كَانَ يَعْلَمُ أَنَّ فَيلِيَّاس فوج لَنْ يَمْكُثُ فِي بُومِبَايِ لِفَتْرَةٍ طَوِيلَةٍ عَلَى أَيَّةٍ حَالٍ، وَكَانَ عَلَيْهِ إِيْجَادُ وَسِيلَةً أُخْرَى لِلْأَفَاءِ الْفَبِضِّ عَلَيْهِ. فِي هَذِهِ الْأَثْنَاءِ، كَانَ بَاسِبَارْتُو قَدْ انْطَلَقَ لِتَنْفِيذِ مَهَامِّهِ، وَكَانَ قَدْ بَدَا يُصَدِّقُ أَنَّهُمَا بِالْفَعْلِ فِي سِبَاقِ حَوْلِ الْعَالَمِ. وَبَعْدَمَا قَامَ بِشَرَاءِ الْقُمَصَانِ وَالْجَوَارِبِ الْجَيْدِيَّةِ التِّي طَلَبَهَا فَيلِيَّاس، أَمْضَى بَعْضَ الْوَقْتِ فِي اسْتِكْشَافِ شَوَارِعِ بُومِبَايِ وَمَيَادِينِهَا الْمُزَدَحَّةِ، وَكَانَ النَّاسُ يَرْتَدُونَ مَلَابِسَ مُخْتَلِفَةِ التَّصْمِيمِ! فَكَانَتْ هُنَاكَ الْقُبَعَاتُ الْمُدَبَّبَةُ وَالْعِمَامَاتُ وَالْفَانِسُوَاتُ الْمُرَبَّعَةُ وَعَبَاءَاتُ طَوِيلَةٍ؛ فَكَانَ كُلُّ شَخْصٍ يَبْدُو مُخْتَلِفًا!

وَفِي خَلَالِ سَيِّرِهِ، وَجَدَ بَاسِبَارْتُو نَفْسَهُ فِي وَسْطِ مَوْكِبٍ وَفِيهِ فَتَيَّاتٍ يَرْتَدِينَ مَلَابِسَ جَيْمِيَّةٍ وَيَرْقُضُنَّ بَيْنَمَا يَضْرِبُنَّ دُفُوقًا صَاحِبَةً. وَعِنْدَمَا مَرَّ الْمَوْكِبُ وَجَدَ بَاسِبَارْتُو نَفْسَهُ قَدْ انْجَدَبَ إِلَى مَعْبِدٍ، وَمَا لَمْ يَكُنْ يُدْرِكُهُ هُوَ أَنَّ الْأَجَانِبَ مَمْنُوعُونَ مِنْ دُخُولِ هَذِهِ الْمَعَابِدِ، وَكَانَ دُخُولُهُ غَيْرَ قَانُونِيًّا!

مَا إِنْ وَطَئَتْ قَدَمَاهَا بَاسِبَارْتُو أَرْضَ الْمَعْبِدِ حَتَّى وَجَدَ نَفْسَهُ مُلْقَى عَلَى الْأَرْضِ فَجَاءَ! فَقَدْ انْقَضَ عَلَيْهِ ثَلَاثَةُ رُهْبَانٍ غَاضِبُونَ وَأَخْذُوا يَضْرِبُونَهُ وَيَصْرُخُونَ بِلُغَةٍ غَرِيبَةٍ، ثُمَّ خَلَعُوا عَنْهُ حِذَاءَهُ! هَبَّ بَاسِبَارْتُو وَاقِفًا عَلَى قَدَمِيهِ وَدَفَعَ اثْنَيْنِ مِنْ مُهَاجِمِيهِ بَعِيدًا وَانْطَلَقَ خَارِجًا مِنَ الْبَابِ بِأَقْصَى سُرْعَةٍ.

عِنْدَمَا وَصَلَ إِلَى مَحَاطَةِ السَّكَّةِ الْحَدِيدِيَّةِ، كَانَتِ السَّاعَةُ الْثَّامِنَةُ إِلَّا حَمْسَ دَقَائِقٍ، وَكَانَ قَدْ فَقَدْ حُزْمَةَ الْجَوَارِبِ وَالْقُمَصَانِ الْجَيْدِيَّةِ فِي الْمُشَاجَرَةِ، وَحَاوَلَ بَاسِبَارْتُو أَنْ يَشْرَحَ مَا حَدَثَ، وَلَكِنَّ فَيلِيَّاس كَانَ مُسْتَأْنِدًا مَمَّا حَدَثَ.

وَفَوْرَ صُعُودِهِمَا إِلَى الْقِطَارِ قَالَ فَيلِيَّاس: «أَمْلُ أَلَا يَتَكَرَّرَ هَذَا مُجَدَّدًا». حَفَظَ بَاسِبَارْتُو رَأْسَهُ فِي خَجْلٍ وَوَعَدَ بِأَنَّ مَا حَدَثَ لَنْ يَتَكَرَّرَ ثَانِيًّا؛ إِذْ كَانَ آخِرُ مَا يُرِيدُهُ هُوَ إِشَارَةُ غَضَبٍ سَيِّدِهِ.

كَانَ فِي كِسْ خَلْفَهُمَا بِخُطْوَتَيْنِ، وَكَانَ عَلَى وَشْكٍ صُعُودِ الْقِطَارِ عِنْدَمَا غَيَّرَ رَأْيَهُ فَجَاءَ؛ إِذْ إِنَّهُ قَدْ سَمِعَ كُلَّ كَلْمَةٍ وَعَلِمَ بِمَا حَدَثَ بِالضَّبْطِ لِبَاسِبَارْتُو، فَهَمَسَ لِنَفْسِهِ قَائِلًا: «جَرِيمَةُ ارْتَكَبَتْ عَلَى الْأَرَاضِي الْهِنْدِيَّةِ!» وَهُوَ يُفَكَّرُ فِي الْخَطَا الَّذِي ارْتَكَبَهُ بَاسِبَارْتُو بِدُخُولِهِ الْمَعْبِدِ، وَقَالَ: «هَكَذَا سَأَقِبِضُ عَلَيْهِمَا!»

أَرْسَلَ فِي كُسْ بَرْقِيَّةَ إِلَى كُلُّ كُتَّابِ يُخْبِرُ الشُّرْطَةَ هُنَاكَ بِمَا حَدَثَ فِي الْمَعْبِدِ، وَيُخْبِرُهُمْ بِوُصُولِ السَّيِّدِ فَوْجٍ وَبَاسِيَارٍ تَوَ إِلَى الْمَدِينَةِ، ثُمَّ حَجَزَ لِنَفْسِهِ تَذْكِرَةً عَلَى الْقِطَارِ التَّالِيِّ وَهُوَ حَرِيصٌ كُلَّ الْحِرْصِ عَلَى أَنْ يَصِلَ إِلَى كُلُّ كُتَّابٍ قَبْلَهُمَا.

الفصل السادس

فيلياس فوق على ظهر فيل

انطلقت صافرة القطار معلنة مغادرة المحطة في الموعد المحدد، وكان معه باسبارتو وفيلياس في الكابينة التي يجلسان فيها رجل واحد يدعى السير فرانسيس كرومتي، وهو رجل طویل القامة ذو بشرة بيضاء ويبلغ الخمسين من العمر. وكان السير فرانسيس في طريقه للانضمام إلى كتيبة الإنجليزية المتمركزة في مدينة بيناريس، وهي مدينة كبيرة أخرى في الهند.

تقابل فيلياس والسير فرانسيس على متن «منغوليا» حيث لعبا الورق معًا، وكان السير فرانسيس — وهو جنرال في الجيش البريطاني — يرى أنَّ فيلياس مجنون؛ لأنَّه يحاول السفر حول العالم في هذا الوقت القصير، بل وكان يرى أنَّ فيلياس شخص غريب حقًا.

وبعد مرور ساعات طويلة من رحلة القطار، قال السير فرانسيس: «لو كان هذا قبل عدة سنوات مضت يا فيلياس، لكنت علقت هنا وخسرت رهانك». سأله فيلياس: «كيف ذلك؟»

— «كان القطار يتوقف عند قاعدة تلك الجبال، وكان على الركاب امتناع المُهور للوصول إلى الجانب الآخر».

قال فيلياس: «آه، حسناً، كنت سأحرص على التخطيط لذلك، وكانت الأمور ستُسير على خيرٍ ما يرام».

وَبَيْنَمَا كَانَ الرَّجُلُانِ يَتَجَادِلَانِ أَطْرَافَ الْحَدِيثِ، نَامَ بِاسْبَارَتُو بِهُدُوءٍ وَهُوَ يَتَدَشَّرُ بِبَطْأَيْنَةٍ. وَأَخِيرًا تَوَقَّفَ الرَّجُلُانِ عَنِ الْكَلَامِ وَبِقِيَّا صَامِتَيْنِ، وَشَقَّ الْقِطَارُ طَرِيقَهُ أَنْتَأَهُ اللَّيلِ، وَبِحُلُولِ النَّهَارِ كَانَ قَدْ قَطَعَ الْمَسَافَةَ بَيْنَ الْجِبَالِ، الَّتِي أَصْبَحَتْ خَلْفَهُما. كَانَتْ مَحَاطَتُهُمُ الْأُولَى بَعْدَ مُغَارَةِ بُومِبَايِ هِيَ بِرَهَامِبُورِ، وَعِنْدَمَا تَوَقَّفَ الْقِطَارُ لِلِّتَزُودِ بِالْمُؤْنَ وَالْفَحْمِ، اشْتَرَى بِاسْبَارَتُو لِنَفْسِهِ حَذَاءَ جَدِيدًا؛ إِذْ أَنَّهُ قَدْ فَقَدْ حِذَاءَهُ فِي الشَّجَارِ فِي الْمَعْبِدِ. وَكَانَ حَذَاؤُهُ الْجَدِيدُ عِبَارَةً عَنْ خُفٍّ هِنْدِيٍّ مُزَينٍ بِلَالَّى غَيْرِ أَصْلِيَّةِ، وَلَمْ يَمْتَلِكْ بِاسْبَارَتُو قَطُّ شَيْئًا بِهَذَا الْجَمَالِ.

وَعِنْدَمَا بَدَا الْقِطَارُ يَسْتَأْنِفُ رُحْلَتَهُ، جَلَسَ بِاسْبَارَتُو مَرَّةً أُخْرَى يَتَأْمَلُ مِنَ النَّافِذَةِ، وَكَانَ مَشْدُوْهَا لِأَنَّهُ فِي الْهِنْدِ دُونَ غَيْرِهَا مِنَ الْأَمَاكِنِ؛ وَفِي الْوَاقِعِ كَانَ بَدَا يُغَيِّرُ فِكْرَتَهُ عَنِ الرَّحْلَةِ الْعَاصِفَةِ، بَلْ وَبَدَا يَسْتَمْتَعُ بِهَا.

وَفَجَأَةً تَوَقَّفَ الْقِطَارُ وَصَاحَ مُحَصِّلُ الْقِطَارِ: «عَلَى جَمِيعِ الرُّكَابِ مُغَارَةُ الْقِطَارِ هُنَّا!»

نَظَرَ فِيلِيَّاسِ إِلَى السَّيِّرِ فَرَانْسِيِّسِ، وَلِكِنَّهُ هُوَ أَيْضًا لَمْ يَكُنْ يُدْرِكُ سَبَبَ تَوَقُّفِهِمْ، وَبِالْخَارِجِ كَانَتْ هُنَاكَ قَرْيَةٌ صَغِيرَةٌ مُحَاطَةٌ بِغَابَاتٍ مِنْ أَشْجَارِ التَّخِيلِ. اندفعَ بِاسْبَارَتُو خَارِجِ الْقِطَارِ لِيَرَى مَا يَحْدُثُ.

وَعِنْدَ عَوْدِتِهِ قَالَ: «سَيِّدي! لَا يُوجَدُ الْمَزِيدُ مِنَ الْقُضَبَانِ!» سَأَلَهُ السَّيِّرُ فَرَانْسِيِّسُ: «مَاذَا تَعْنِي؟»

أَجَابَ بِاسْبَارَتُو: «أَقْصِدُ أَنَّ الْقِطَارَ لَنْ يَتَمَكَّنَ مِنَ السَّفَرِ لِبَعْدِ مِنْ هُنَّا.»

خَرَجَ الْجِنِّيَّالُ وَلَحِقَ بِهِ فِيلِيَّاسُ فَوْجَ وَذَهَبًا لِيَحَدِّثَاهُ مَعْ مُحَصِّلِ الْقِطَارِ.

سَأَلَ السَّيِّرُ فَرَانْسِيِّسُ: «مَاذَا يَحْدُثُ؟»

— لَمْ يَتَنَّهِ إِنْشَاءُ السَّكَكِ الْحَدِيدِيَّةِ بَعْدُ، لَا تَزَالُ هُنَاكَ مَسَافَةً خَمْسِينَ مِيلًا لَمْ يَتَنَّهِ إِنْشَاؤُهَا، يَتَعَيَّنُ عَلَيْكُمْ اسْتِكْمَالُ طَرِيقَكُمْ وَحَدَّكُمْ مِنْ هُنَّا.»

وَبَعْدَ هَذِهِ الْجُملَةِ، تَرَكَ الْمُحَصِّلُ الرِّجَالَ الثَّلَاثَةَ، وَلَمْ يَكُنْ أَيُّهُمْ يَعْلَمُ مَاذَا سَيَفْعَلُ بَعْدُ.

لَقِدْ كَانَتْ كُلُّ الصُّحُفِ الْلَّدُنِيَّةُ مُخْطَأَةً؛ حَيْثُ إِنَّ السَّكَكَ الْحَدِيدِيَّةَ الَّتِي تَقْطَعُ الْهِنْدِيَّةَ كَانَتْ عَلَى وَشَكِ الْإِنْتِهَاءِ.

قال السير فرانسيس: «بالتأكيد، ستمثل هذه مشكلة لك؛ إذ إنك لن تستطيع الوصول إلى كلتنا الآن».

قال فيلياس: «بالعكس، لدي عدة أيام إضافية؛ فاليوم ما زال الثاني والعشرين من أكتوبر ولن تغادر الباحرة إلى هونج كونج إلا يوم الخامس والعشرين، فما زال لدينا مُتسعاً من الوقت للوصول إلى كلتنا».

قرر فيلياس: «سنقطع المسافة سيراً على الأقدام».

نظر باسبارتو إلى حذائه الجديد، والذي لن يصمد لمسافة خمسين ميلاً من السير، ونظر حوله لحقيقة ثم قال: «أعتقد أنني وجدت طريقاً آخر يا سيدي!»

قال فيلياس: «ما هو يا باسبارتو؟»

أشار بيده إلى كوخ صغير يبعد عدة ياردات عن المحطة وقال: «فيلا!» وكان ثمة فيل يقف هناك بالفعل، وسار الرجال الثلاثة إلى الكوخ وطرقو الباب، فخرج رجل هندي وأراهم «كيوني»، وكان هذا هو اسم الفيلة.

حاول فيلياس تأخير الفيلة لإيصالهم إلى مدينة «الله أباد»، حيث تстанف السكة الحديدية رحلتها، ولكن المالك رفض، فعرض عليه مبلغاً أكبر من المال، لكنه أصر على الرفض. وبعد عدة دقائق من المساومة عرض فيلياس مبلغ ستمائة جنيه، ولكن الإجابة كانت لا تزال بالرفض! ثم حاول شراء كيوني مقابل ألف جنيه، ولم يلق عرضه قبولاً كذلك! في النهاية اضطر فيلياس لعرض شرائها مقابل ألفي جنيه حتى يوافق المالك.

قال باسبارتو: «الفا جنيه من أجل فيلة!» وتعجب لأن سيده كان على استعداد لإنفاق كل هذه الأموال!

لكن بعد ذلك تعيّن عليهم العثور على مرشد، ووجدوا في المدينة شاباً لطيفاً يدعى علياً فاستأجروه على الفور. كما اشتروا المؤن كذلك وأصبحوا على استعداد للرحيل. جلس فيلياس والسير فرانسيس على كرسين على جاني الفيلة - يطلق عليهم هودج - بينما جلس باسبارتو بين الرجالين، على ظهر كيوني، وجلس مرشدتهم على رقبتها، وبدعوا رحلتهم من القرية في الساعة التاسعة، وبدعوا يشقون طريقهم عبر غابة النخيل المحيطة بهم.

الفصل السادس

مُغَامِرَةُ فِيلِيَاْسُ فُوجٍ وَبَاسِبَارَتُو وَالسِّيرُ فَرَانِسيِسُ

كانت الفيلة تُقْدِفُ السير فرانسيس وفيلياس يمنةً ويسرةً وهي تشق طريقها ركضاً في الغابة وهما يجلسان في وضع غير مريح في الهوادج. وقد أخبرهم على أنهم يمكّهم توفير الكثير من الوقت إذا سلّكوا طريقاً مختصراً، فوافقوا، ولكن ذلك الطريق كان أكثر وعورةً من الطريق العادي، وكان باسبارتوك يتبع كالكرة على ظهر الفيل، وربما كان ذلك مُؤلماً، ولكنه كان يستمتع بالرحلة ويشعر كانه مهرج يقفز فوق قنطرة.

مرّ الرجال عبر غابة كثيفة ثم عبر حقول جافة، ورأوا بعض الحيوانات - وأكثر ما رأوه كان القرود - وقد أعجبت باسبارتوكثيراً. وكان الركاب يشعرون ببعض الخوف من السفر عبر تلك المنطقة الوعرة في طريقهم إلى مدينة «الله أباد»؛ لأنهم كانوا يدركون أن هناك قطاع طريق يحكمون هذه الأرضي، ولم يكن أي منهم يرغب في مواجهة المتأuber.

وبالرغم من أن باسبارتوك أحبت وجوده على ظهر الفيلة، فقد كان يتساءل عما سيفعله السير بيكوني عقب وصولهم إلى «الله أباد»، وظل يفكّر في ذلك لفتره طويلة، وهم يشقون طريقهم في عجلة.

ومع حلول المساء، كان الرجال قد قطعوا نصف المسافة إلى محطة السكة الحديدية الأخرى، وكانت ليلة باردة، فتوقفوا عند كوخ متهدّم حيث أشعل مرشدّهم ناراً

للتدفئة، ونامت كيوني خارج الكوخ مُستندةً إلى شجرة كبيرة، وسرعان ما غطوا جميعاً في سبات عميق حتى أصبح صوت شخيرهم مسموعاً.

وبخلول السادسة من صباح اليوم التالي كانوا يشكون طريقهم مرأة أخرى، وأراد عليّ توصيلهم إلى محطة السكة الحديدية في مساء ذلك اليوم، وكان ذلك يعني أنَّ فيلياس لن يخسر سوى القليل من الوقت الذي كسبهمنذ بدء رحلته. توقف الرجال تحت شجرة موز لتناول وجبة حقيقة، حيث لم يكن أمامهم سوى مسافة اثنى عشر ميلاً فقط ليقطعوها.

بعد الراحة، قاد عليّ كيوني إلى الغابة مرأة أخرى، وكانوا حتى ذلك الوقت قد تجنبوا كل إشارات قاطعي الطريق وأرادوا الاستمرار على هذا المنوال. وفجأة توقفت كيوني.

فسأل السير فرانتسيس وهو يخرج رأسه من الهوادج: «ماذا حدث؟» ثم سمع الرجال أصواتاً عالياً قادمة عبر الغابة.

فقال عليّ: «أسرعوا، يحب أن نختبئ». ثم قاد كيوني خارج الطريق حتى لا يراهم القادمون، واقتربت أصوات المعدات والضوضاء أكثر فأكثر، ثم ظهر مجموعة من الرجال يرتدون الذي المحلي ويجرؤون عربة عليها تمثال قبيح.

همس السير فرانتسيس: «هل تعتقد أنهم رأونا؟» فأشار عليّ له بيده أن يصمت. رقص بعض الرجال حول التمثال، وكان العديد منهم يرتدون أثواباً طويلة، وكانت مجموعة أخرى تجر امرأة خلفها، وكانت تسقط في كل خطوة تحطوها تقربياً، وكانت شابة حسناء مُرتديّة جواهر في يديها وقدميها ورقبتها وذراعيها وساقيها، وكان الحرام الذين يتبعونها يحملون سيفاً عملاقة حادة.

همس السير فرانتسيس: «أعتقد أنهم سيذدون تلك الفتاة المسكينة!» فأجابه فيلياس: «أعتقد أنك على حق. إنها أميرة، انظروا إلى ما ترتدية. لدّي اثنان عشرة ساعة زائدة من الوقت، يحب علينا إنقاذهما!» قال السير فرانتسيس: «موافق!» وأضاف بابشارتو: «موافق!»

فَقَالَ عَلَيْهِ: «إِذَا أَمْسَكُوا بِكُمْ، فَإِنَّهُمْ حَتَّمَا سَيُعَذِّبُونَكُمْ، وَلَكِنِي سَأُسَاعِدُكُمْ، فَتِلْكَ الْفَتَاهُ الَّتِي يَأْسِرُونَهَا هِيَ ابْنَاهُ تَاجِرٌ ثَرِيٌّ فِي بُومَبَايِّ، وَهِيَ فَتَاهُ مَشْهُورَهُ وَتُدْعَى عُودَا! قَالَ فِيلِيَاْسُ: «هَذَا يُفَسِّرُ الْأَمْرَ، لَقَدْ أَسْرُوهَا لِلْحُصُولِ عَلَى فِدْيَيْهِ مِنْ أَهْلِهَا لِإِعَادَتِهَا! دَعُونَا نَفْكِرُ فِي خُطَّهُ، وَمِنَ الْأَفْضَلِ الِانتِظَارُ حَتَّى هُبُوطِ اللَّلِيْلِ». أَوْمًا الْجَمِيعُ، وَأَضَافَ السِّيرُ فَرَانْسِيسُ: «يَجِبُ عَلَيْنَا نَقْلُ مُخِيمَنَا بِالْقُرْبِ مِنْهُمْ، فَهَكَذَا يُمْكِنُ لَنَا رَصْدُ مَا يَفْعَلُونَهُ».

رَبَطُوا كِيُونِي ثُمَّ اقْتَرَبُوا مِنَ الْمُخِيمِ، وَكَانَتْ هُنَاكَ نِيرَانُ كِثِيفَةً تَشَتَّعِلُ، وَسَمِعُوا صَخْبًا كَبِيرًا. حَطَّطَ الرِّجَالُ لِشَقِّ جَدَارِ حَائِطِ الْكُوْخِ حَيْثُ كَانَتِ الْفَتَاهُ مُحْتَاجَزَةً، ثُمَّ حَطَفُهَا مِنْ هُنَاكَ، وَأَنْتَرُوا حَتَّى حَلَّ الظَّلَامُ وَنَامَ الْحُرَّاسُ، ثُمَّ تَسَلَّلَ عَلَيْهِ وَبَاسِبَارْتُو وَبَدَا فِي تَحْطِيمِ الْجِدَارِ، بَيْنَمَا كَانَ السِّيرُ فَرَانْسِيسُ وَفِيلِيَاْسُ يُرَاقِبَانِ مِنْ حَلْفِ شَجَرَةٍ فَرِيهِيَّةٍ.

وَفَجَاهَهُمَّسَ فِيلِيَاْسُ: «يَا إِلَهِي! لَقَدْ اسْتَيْقَظَ الْحَارِسُ! يَجِبُ أَنْ نَفْعَلَ شَيْئًا قَبْلَ أَنْ يَعْتَرَ عَلَى بَاسِبَارْتُو».

تَسَلَّلَ الرِّجَالُ بِهُدُوءٍ خَلْفَ الْحَارِسِ وَضَرَبَاهُ عَلَى رَأْسِهِ، وَلَمْ يَكُنْ بِنِيَّتِهِمَا إِلَّا حَاقُّ أَذْى شَدِيدٍ بِهِ، فَقَطْ أَرْادُوا إِبْقاءً نَائِمًا. وَانْضَمَ السِّيرُ فَرَانْسِيسُ وَفِيلِيَاْسُ إِلَى بَاسِبَارْتُو وَعَلَيْهِ لِشَقِّ الْحَائِطِ، وَفِي النَّهَايَةِ نَجَحُوا فِي عُبُورِهِ! كَانَتِ الْفَتَاهُ الْمِسْكِينَةُ مُلْقَاهَا عَلَى السَّرِيرِ وَتَبَدُّو كَالْمَيَّةِ، حَمَلَهَا بَاسِبَارْتُو بِحَدِيرٍ، وَقَالَ فِيلِيَاْسُ: «أَسْرِعْ! عَلَيْنَا أَنْ نَخْرُجَ مِنْ هُنَا حَالًا!»

رَحَفَ الرِّجَالُ عَبْرَ التَّجْوِيفِ الصَّغِيرِ فِي الْجِدَارِ، وَرَكَحُسُوا بِسُرْعَةٍ عَائِدِينَ إِلَى كِيُونِي، وَلَكِنَّ قُطَّاعَ الطَّرِيقِ رَأَوْهُمْ! فَطَارَدُوهُمْ عَبْرَ الْغَابَةِ، وَانْهَالَ سَيْلٌ مِنَ الْأَسْهُمِ عَلَيْهِمْ، وَرَكَضَ عَلَيْهِ مُبَاشِرًا بِأَقصَى سُرْعَةٍ فَكَانَ يُرِيدُ أَنْ يُسَاعِدَ الْجَمِيعَ فِي الصُّعُودِ عَلَى ظَهِيرَةِ الْفِيلِيَّةِ، وَسُرْعَانَ مَا صَعِدُوا عَلَى ظَهِيرَ كِيُونِي الَّتِي انْطَلَقَتْ تَخْرُقَ الْغَابَةِ.

صَاحَ السِّيرُ فَرَانْسِيسُ: «لَقَدْ نَجَحْنَا! لَقَدْ نَجَحْنَا! أَحْسَنْتُمْ جَمِيعًا! أَحْسَنْتُمْ!» وَضَعَ فِيلِيَاْسُ عُودًا بِأَمَانٍ فِي أَحَدِ الْهُوَدِجَيْنِ وَكَانَتْ لَا تَزَالْ تَغْطِي فِي سُبَاتِ عَمِيقٍ، بَلْ إِنَّهَا لَمْ تَسْتَيْقِظْ قَطُّ! ثُمَّ انْضَمَ إِلَى بَاسِبَارْتُو عَلَى ظَهِيرَ كِيُونِي، بَيْنَمَا بَقَى السِّيرُ فَرَانْسِيسُ فِي الْهُوَدِجِ الْآخِرِ.

الفصل الثامن

رِحْلَةُ عَبْرِ نَهْرِ الْجَانِجِ

تَقَدَّمَ الْفَرِيقُ بِسُرْعَةٍ فَائِقةٍ فِي اِتِّجَاهِ «الله أباد»، حَتَّىٰ إِنَّهُمْ وَصَلُوا إِلَى مَحَطَّةِ الْقِطَارِ مَعَ وَقْتٍ مُبْكِرٍ مِنَ الصَّبَاحِ. وَفَوْرًا وَصُولِهِمْ إِلَى مَدِينَةِ «الله أباد»، طَلَّبَ فِيلِيَاـسِ مِنْ باسِبَارِتُو تَنْفِيذَ بَعْضِ الْمَهَامِ، وَكَانَ باسِبَارِتُو سَعِيداً بِذَلِكَ، هَذَا بِجَانِبِ أَنَّهُ كَانَ شَغُوفًا بِاسْتِكْشافِ الْمَدِينَةِ. وَعِنْدَمَا عَادَ باسِبَارِتُو، كَانَ الْوَقْتُ قَدْ حَانَ لِوَدَاعِ عَلَيْهِ، فَدَفَعَ لَهُ فِيلِيَاـسِ نُقُودَهُ وَقَالَ: «عَلَيُّ، لَقَدْ كُنْتَ حَيْرَ عَوْنَ لَنَا، هَلْ تَوْدُ الاحْتِفَاظَ بِكِيُونِي؟» أَجَابَ عَلَيْهِ: «سَيِّدي! هَلْ أَنْتَ مُتَأْكِدٌ إِنَّهَا تُقْدَرُ بِثِرَوَةٍ. هَذَا كَرْمٌ كَبِيرٌ مِنْكَ! إِنِّي لَا أُصَدِّقُ ذَلِكَ!»

قَالَ فِيلِيَاـسُ: «إِنَّكَ تَسْتَحِقُ هَذِهِ الْهَدِيَّةِ.»

قَالَ باسِبَارِتُو: «يَا إِلَهِي! إِنِّي سَعِيدٌ أَنَّكَ سُوفَ تَأْخُذُهَا يَا عَلِيُّ؛ فَكِيُونِي سَتَكُونُ صَدِيقَةً شُجَاعَةً وَمُمْلِحَةً.»

تُمَّ رَبَّتَ باسِبَارِتُو عَلَى خُرْطُومِ كِيُونِي، فَحَمَلَتُهُ كِيُونِي بِخُرْطُومِهَا عَالِيًّا فِي الْهَوَاءِ، فَضَحِكَ الْخَادِمُ وَرَبَّتَ عَلَى رَأْسِ كِيُونِي الَّتِي أَعَادَتُهُ بِرِفْقٍ إِلَى الْأَرْضِ مَرَّةً أُخْرَى. انْطَلَقْتُ صَافِرَةً الْقِطَارِ مُعْلِنَةً أَنَّهُ حَانَ وَقْتُ الصُّعُودِ إِلَى الْقِطَارِ. حَمَلَ السَّيْرِ فَرَانْسِيسُ عَوْدَا وَوَضَعَهَا بِحَذَرٍ فِي عَرَبَةِ الْقِطَارِ، وَسُرْعَانَ مَا كَانَ الْقِطَارُ يَسْقُ طَرَيْقَهُ مُسْرِعًا نَحْوَ بِيَنَارِيسِ. وَبَعْدَ بِضْعِ سَاعَاتٍ، اسْتَيَقْطَطَ عَوْدَا وَكَانَتْ فِي حَالَةٍ مِنَ الذُّهُولِ

والفرزِع، كما شعرت بالدّهشة لأنّها عَلَى مَتْنِ قَطَارٍ سَرِيعٍ وَلَيْسْتْ مُقَيَّدَةً فِي الْكُوْخِ وَمُحَاطَةً بِقُطْاعِ الطُّرُقِ.

سَالَّتْ: «أَيْنَ أَنَا؟»

فَأَجَابَهَا فِيلِيَّاس: «أَنْتِ فِي أَمَانٍ الْآنِ يَا عَزِيزَتِي، لَقَدْ أَنْقَذْنَاكِ مِنْ أُولَئِكَ الْأَشْرَارِ وَنَأْخُذُكِ مَعَنَا إِلَى بَيْنَارِيس. أَنَا فِيلِيَّاس فوج وَهَذَا خَادِمِي بَاسِبَارْتو وَصَدِيقُنَا السَّيْرِ فَرَانْسِيس.»

شَكَرَتْهُمْ جَمِيعًا لِمُسَاعَدَتِهَا وَإِنْقَاذِ حَيَاتِهَا، وَقَالَتْ إِنَّهَا لَنْ تَسْتَطِعْ أَبْدًا رَدَّ جَمِيلِهِمْ لِكُلِّ مَا فَعَلُوهُ مِنْ أَجْلِهَا.

قَالَ فِيلِيَّاس: «لَا تَقُولِي هَذَا، هَذَا مِنْ دَوَاعِي سُرُورِنَا.»

- «لَقَدْ قَتَلَ قُطْاعَ الطُّرُقِ عَائِتِي كُلَّهَا، وَكَانُوا سَيِّقْتُلُونَنِي أَنَا أَيْضًا لَوْلَا تَدْخُلُكُمْ لِإِنْقَادِي.»

- «هَذَا يَعْنِي أَنَّ حَيَاتِكَ سَتَكُونُ مُعَرَّضَةً لِلْخَطَرِ دَائِمًا إِذَا بَقَيْتِي هُنَا. هَلْ تَوَدِّينَ مُرَافَقَتِنَا إِلَى هُونِجِ كُونِجِ، إِنَّنَا نَنْجِهُ إِلَى هُنَاكَ؟»

قَالَتْ عُودَا بِهُدُوِّ: «سَأَكُونُ مُمْتَنَةً لِذَلِكَ، شُكْرًا مَرَّةً أُخْرَى عَلَى كُلِّ مَا فَعَلْتُمُوهُ مِنْ أَجْلِي.»

عِنْدَمَا وَصَلَ الْقِطَارُ إِلَى مَدِينَةِ بَيْنَارِيس، وَدَعَ الْمُسَافِرُونَ السَّيْرِ فَرَانْسِيسَ الَّذِي تَمَنَّى لَهُمُ النَّجَاحَ وَالْتَّوْفِيقَ، وَقَالَ إِنَّهُ يَتَمَنَّى رُؤْيَايُهُمْ مَرَّةً أُخْرَى قَرِيبًا.

الفصل التاسع

فيلياس فوج يُنْفِقُ مَبَالِغَ طَائِلَةً

وصل القطار إلى المحطة في كلكتا، ونزل المسافرون من على مقتنيه، وأراد فيلياس التوجه مباشرةً إلى الباحرة المتجهة إلى هونج كونج حتى يصعد على مقتنها وهو لا يزال لديه متسعاً من الوقت، وكان لديهم بضعة ساعات حتى تحيط لحظة مغادرة السفينة. وأراد فيلياس أن يتتأكد من أنّ عوداً على ما يُرِّاعٌ ولديها كلّ ما تحتاج إليه؛ وبالطبع كان ذلك يعني أنّ باسبارتو سيقوم ببعض المهام.

وبحسبه أن سعاد فيلياس عوداً على النزول من القطار، أوقفه الشرطي وسأله: «هل أنت السيد فيلياس فوج؟»

أجاب فيلياس: «نعم.»

ثم أشار الشرطي إلى باسبارتو: «هل هذا الرجل هو خادمك؟»
«نعم.»

ـ إذن، عليكم أنتما الاثنتين القدوم معى.»

توجه الشرطي إلى عربة وفتح الباب لهم، فقال فيلياس لعوداً أن تأتي معهما؛ لأنّه لم يُرد أن تظل بمفردهما.

بعد رحلة صامتة استمرت عشرين دقيقة، وصلوا إلى منزل صغير، وفتح الشرطي باب العربة، وقال لهم وهو يخرجون منها: «اتبعوني.»
وقاد الثلاثة إلى غرفة صغيرة بها قطبان على النافذة، وقال: «سوف تمثلو أمام القاضي عادياً في تمام الثامنة والنصف.»

تَعَجَّبَ فِيلِيَاْسُ: «أَنْحَنْ سُجَنَاءً؟ مَا هَذَا الْهُرَاءُ! هُنَاكَ حَطَأُ مَا». ثُمَّ التَّفَتَ إِلَى عُوْدَةِ وَبَاسِبَارْتُو قَائِلًا: «لَا تَقْلِقَا، فَسَنَكُونُ عَلَى مَتْنِ الْبَابِخَرَةِ بِحُلُولِ الْمَسَاءِ».

وَبَعْدَ قَلِيلٍ، فَتَحَ الْبَابُ وَعَادَ الشُّرِطِيُّ وَاصْطَحَبَهُمْ إِلَى قَاعَةِ الْمَحْكَمَةِ.

دَخَلَ الْقَاضِي عِبَادِيَا — وَهُوَ رَجُلٌ ضَخْمٌ مُمْتَنِيُّ الْجَسْمِ — إِلَى الْقَاعَةِ.

وَنَانَى الْقَاضِي: «الْقَضِيَّةُ الْأُولَى!»

فَصَاحَ حَاجِبُ الْمَحْكَمَةِ: «فِيلِيَاْسُ فَوْجٌ!»

فَقَالَ فِيلِيَاْسُ: «حَاضِرٌ».

دَخَلَ ثَلَاثَةٌ رِجَالٌ إِلَى قَاعَةِ الْمَحْكَمَةِ، فِي الْبِدَايَةِ اعْتَقَدَ فِيلِيَاْسُ وَبَاسِبَارْتُو أَنَّهُمْ مِنْ أَفْرَادِ الْعِصَابَةِ وَيُحَاوِلُونَ اسْتِعَاْدَةَ عُوْدَةَ أُخْرَى، وَلَكِنْ مَا لَبِثَ أَحَدُهُمْ أَنْ قَدَّمَ حِذَاءً بَاسِبَارْتُو!

قَالَ الْقَاضِي: «يَا سَيِّدُ بَاسِبَارْتُو، أَنْتَ مُتَّهِمٌ بِالدُّخُولِ غَيْرِ الْقَانُونِيِّ إِلَى مَعْبِدٍ، وَهَذَا الْحِذَاءُ دَلِيلٌ عَلَى وُجُودِكَ هُنَاكَ».

صَاحَ بَاسِبَارْتُو: «حِذَاءِي!»

— «إِنَّ، أَنْتَ تَعْتَرِفُ بِأَنَّكَ كُنْتَ هُنَاكَ؟»

أَوْمَأَ بَاسِبَارْتُو بِرَأْسِهِ بِبُطْءٍ.

— «حَسَنًا، سَنَدْفَعُ غَرَامَةً قَدْرَهَا مِائَةٌ وَحَمْسُونَ جُنِيَّهًا وَسَتَّقْضِي أُسْبُوعًا فِي الْحَبْزِ».

قَالَ فِيلِيَاْسُ: «سَوْفَ أَدْفَعُ كَفَالَتَهُ حَتَّى لَا يَدْخُلَ السُّجْنَ، مَا قَدْرُهَا؟»

نَظَرَ الْقَاضِي إِلَيْهِ وَقَالَ: «إِنَّهَا بَاهِظَةٌ لِلْغَايَةِ يَا سَيِّدِي؛ أَلْفًا جُنِيَّهًا».

أَخَذَ فِيلِيَاْسُ لُفَافَةً مِنَ الْأَمْوَالِ مِنْ حَقِيقَتِهِ الْقُمَاشِيَّةِ وَدَفَعَ الْكَفَالَةَ.

كَانَ الْمُحَقِّقُ فِي كِيسِ يَقْفُ في نَهَايَةِ الْقَاعَةِ وَيُشَاهِدُ مَا يَحْدُثُ، وَكَانَ قَدْ ظَنَّ أَنَّهُ وَجَدَ وَسِيَّلَةً مُؤَكَّدةً لِإِبْقَاءِ فِيلِيَاْسِ فِي الْهِنْدِ حَتَّى يَحْصُلَ عَلَى أَمْرٍ رَسِمِيٍّ بِإِلْقَاءِ الْقُبْضِ عَلَيْهِ، وَلَكِنَّ الْآنَ بَعْدَ أَنْ خَرَجَ بَاسِبَارْتُو بِكَفَالَةٍ، يَبْدُو أَنَّ فِيلِيَاْسَ سَيُفْلِتُ مِنْ بَينِ يَدِيهِ مُجَدَّدًا!

وَلَمْ يَكُنْ يَتَحِيلُ عَلَى الْإِطْلَاقِ أَنَّ اللَّصَ سَيَكُونُ بِهَذَا السَّخَاءِ.

قَالَ الْقَاضِي: «حَسَنًا، هَذِهِ الْأَمْوَالُ سَتَّعُودُ إِلَيْكَ عِنْدَمَا يُكْمِلُ بَاسِبَارْتُو فَتْرَةَ الْعُقوبةِ فِي السُّجْنِ، وَلَكِنْ إِنْ لَمْ يَعُدْ فَسَنُصَارِدُ الْأَمْوَالِ».

أَوْمَأَ فِيلِيَاْسَ وَقَالَ: «حَسَنًا يَا سَيِّدِي»، ثُمَّ التَّفَتَ إِلَى عُوْدَةِ وَبَاسِبَارْتُو وَقَالَ: «لِنَذَهَبُ!»

اَخْتَطَفَ بَاسِبَارْتُو حِذَاءَهُ وَهُوَ خَارِجٌ: «يَجِبُ أَنْ نَتَّحِهَ إِلَى رَصِيفِ الْمِينَاءِ فِي الْحَالِ!»

وَفِي أَسَى، اتَّبَعَ بِاسْبَارْتُو سَيِّدَهُ، فَلَمْ يَكُنْ سَعِيدًا أَنَّ رَئِيسَهُ قَدْ أَنْفَقَ كُلَّ هَذِهِ الْأَمْوَالِ
بِسَبِّبِ خَطَاً اقْتَرَفَهُ هُوَ، وَآمَحَ فِيكِسَ يَقِفُّ فِي الرَّازِيَّةِ وَيَبْدُو عَلَيْهِ الغَضَبُ الشَّدِيدُ، وَلَوْهَلَةً
تَعَجَّبَ بِاسْبَارْتُو عَمَّا يَفْعَلُهُ هُنَاكَ، لَكِنَّهُ كَانَ عَلَى عَجَلَةٍ مِنْ أَمْرِهِ، فَلَمْ يُعْطِ لِلْأَمْرِ اهْتِمَامًا.

الفصل العاشر

الرّحْلَةُ مِنَ الْهِنْدِ إِلَى هونج كونج

صعدَ المُسَافِرُوْنَ التَّلَاثُةَ عَلَى مَتْنِ الْبَاخِرَةِ «رانجون» فِي مَوْعِدِهِمْ، وَكَانَتِ الْبَاخِرَةُ عَلَى وَشْكِ الرَّحِيلِ إِلَى هونج كونج. قَضَتْ عُودًا أَغْلَبَ أَيَّامَهَا الْأُولَى فِي الرَّحْلَةِ فِي التَّعْرِفِ عَلَى فيلياس وباسبارتو، وَحَكَّتْ لَهُمَا قِصَّةَ حَيَاةِهِمَا؛ فَقَدْ كَانَ وَالدُّهَا تَاجِرٌ قُطْنَ فَاحِشَ التَّرَاءِ، وَقَدْ عَاشُوا حَيَاةً رَغْدَةً حَتَّى وَاجَهُتْ وَالدُّهَا مُشْكِلَاتٍ مَعَ قُطْطَاعِ الطَّرِيقِ. ثُمَّ أَخْبَرَتْهُمْ عَنْ قَرِيبِهَا جِيجاه جِيجيوي الَّذِي يَعِيشُ فِي هونج كونج.

وَكَمَا كَانَ الْحَالُ عَلَى مَتْنِ الْبَاخِرَةِ «منغوليَا»، قَضَى باسبارتو مُعْظَمَ أَوْقَاتِ الظَّهِيرَةِ يَتَمَشَّى عَلَى سَطْحِ الْبَاخِرَةِ. وَفِي أَحَدِ الْأَيَّامِ وَبَيْنَمَا كَانَ يَتَمَشَّ، تَفَاجَأَ بِرُؤْيَا السَّيِّدِ فيكس! قَالَ باسبارتو: «يَا إِلَهِي! مَاذَا تَفْعَلُ هُنَا بِحَقِّ السَّمَاءِ يَا سَيِّدي؟ لَقَدْ تَرَكْتُ فِي بُومِبَايِ، وَرَأَيْتُ لِفَتْرَةٍ وَجِيزَةً فِي كِلْكَتا، وَالآنَ أَنْتُ هُنَا فِي طَرِيقِكَ إِلَى هونج كونج. هَلْ أَنْتَ أَيْضًا تَقُومُ بِجَوْلَةٍ حَوْلَ الْعَالَمِ؟»

قَالَ فيكس: «كَلَّا، كَلَّا، فَانَا سَأَتَوَقَّفُ فِي هونج كونج.»

كَانَ فيكس بِالْفِعْلِ قَدْ أَرْسَلَ بِزَقِيقَيْهِ أُخْرَى إِلَى لَندَنَ لِيَطْلُبَ إِرْسَالَ أَمْرِ القَبْضِ إِلَى هونج كونج، وَكَانَتْ هَذِهِ فُرْصَتَهُ الْآخِرَةُ لِلْقَبْضِ عَلَى فيلياس فوج، لِصِ الْبَنْكِ؛ إِذْ إِنَّهُ بِمُحْرَرٍ أَنْ يُغَادِرَ هونج كونج وَيَصِلَ إِلَى أَمْرِيَكا، فَلَنْ يَعُودَ عَلَى الْأَرَاضِيِ الْبِرِيطَانِيَّةِ، وَذَلِكَ يَعْنِي أَنَّ فيكس لَنْ يَسْتَطِعَ إِلْقاءِ الْقَبْضِ عَلَيْهِ بَعْدَ ذَلِكَ. كَانَ فيكس يَشْعُرُ بِالْإِحْبَاطِ مِنْ وُصُولِهِ إِلَى هَذِهِ الْمَرْحَلَةِ، وَيَشْعُرُ بِالتَّعَبِ مِنْ مُلاَحَقَةِ فيلياس حَوْلَ الْعَالَمِ.

سَأَلَ باسبارتو: «كَيْفَ لَمْ أَرَكَ مُنْذُ مُغَادِرَتِنَا كِلْكَتا؟»

قَالَ فيكس: «آه، لَقَدْ كُنْتُ مُصَابًا بِدُوَارِ الْبَحْرِ، كَيْفَ حَالُ السَّيِّدِ فوج؟»

- «عَلَى حَيْرٍ مَا يُرِّأْمُ، لَا يَتَخَافَّ عَنْ جَدْوِلِهِ وَلَوْ بِيَوْمٍ وَاحِدٍ! وَالآنَ تُسَافِرُ مَعَنَا سَيِّدَهُ شَابَهُ كَذَلِكَ!»

تَظَاهَرَ فِي كِسْ بِالإِنْدِهَاشِ، وَحَكَى لَهُ باسِبَارْتُو كَيْفَ أَنْقَدُوا عُودَا مِنْ قُطَّاعِ الطَّرِيقِ فِي الْهَنْدِ.

سَأَلَهُ فِي كِسْ: «وَهَلْ سَتُسَافِرُ عُودَا مَعَكُمْ مَرَّةً أُخْرَى إِلَى أُورُوبَا؟»

- «كَلَّا، سَتُقِيمُ لَدَى قَرِيبَهَا فِي هُونِجْ كُونِجْ، حَيْثُ سَتَكُونُ بِأَمَانٍ هُنَاكَ».«

وَكَمَا كَانَ الْحَالُ تَمَامًا فِي كُلِّ ظَهِيرَةٍ عَلَى مَتْنِ الْبَاخِرَةِ «مُنْغُولِيَا»، كَانَ الرَّجُلُونَ يَحْسِيَانَ مَعًا كُوبَيْنِ مِنَ الْلَّيْمُونَ وَيَسِيرَانَ عَلَى سَطْحِ السَّفِينَيَّةِ مَعًا.

وَيَمْرُورُ الْأَيَّامِ، بَدَأَ باسِبَارْتُو يُفَكِّرُ أَنَّهُ مِنَ الْغَرِيبِ حِدَّا أَنْ يُصَادِفَ السَّيِّدَ فِي كِسْ كَثِيرًا. وَفَجْأَةً جَاءَتْ بِخَاطِرِهِ فِكْرَةً افْتَشَرَّ لَهَا بَدْنُهُ: «إِنَّهُ يَتَبَعَّدُنا!»

- «نَعَمْ، إِنَّهُ بِالطَّبِيعِ جَاسُوسُ أَرْسَلُوهُ مِنْ نَادِي «رِيفُورِمْ كِلُوب»، لَكِنَّ سَيِّدي رَجُلٌ أَمِينٌ وَصَادِقٌ. إِنَّهُ لَأَمْرٌ فَظِيعٌ.»

وَقَرَرَ أَلَا يُبْلِغَ فِيلِيَا سِبَابِرْتُو بِالْأَمْرِ، فَلَمْ يُرِدْهُ أَنْ يُسِيءَ الظَّنَّ بِأَصْدِقَائِهِ مِنَ النَّادِي، وَلَهُذَا احْتَفَظَ بِالْأَمْرِ لِنَفْسِهِ. كَمَا لَمْ يُرِدْ أَنْ يُدْرِكَ السَّيِّدَ فِي كِسْ أَنَّهُ قَدْ عَلِمَ بِأَمْرِهِ، فَهَذَا قَدْ يُسَبِّبُ بَعْضَ الْمُشْكِلَاتِ بَيْنَ فِيلِيَا سِبَابِرْتُو وَنَادِي «رِيفُورِمْ كِلُوب»، وَكَانَ آخَرُ شَيْءٍ يُرِيدُهُ باسِبَارْتُو هُوَ أَنْ يُسَبِّبَ مَزِيدًا مِنَ الْمُشْكِلَاتِ لِسَيِّدِهِ.

رَسَتِ الْبَاخِرَةُ «رَانِجُون» فِي سِنْغَافُورَةَ قَبْلَ نَصْفِ يَوْمٍ مِنْ مَوْعِدِهَا، وَكَالْمُعْتَادِ دَوَّنَ فِيلِيَا سِبَابِرْتُو ذَلِكَ فِي دَفْتَرِ يَوْمِيَّاتِهِ، وَكَالْمُعْتَادِ كَذَلِكَ أَرْسَلَ باسِبَارْتُو لِلْقَضَاءِ مَهَامَهُ الْمُعْتَادَةِ. وَأَرَادَتْ عُودَا رُؤْيَا بَعْضِ الْأَمَمَكِنِ فِي الْجِزِيرَةِ، فَاصْطَحَبَهَا فِيلِيَا سِبَابِرْتُو فِي رِحْلَةٍ بِالْعَرَبِيَّةِ، وَتَجَوَّلَ قَلِيلًا فِي الْمَدِينَةِ وَهُمَا يَسْتَشْقَانَ رَائِحَةَ الْقَرْنَفُلِ وَأَشْجَارِ جَوْزِ الطَّيْبِ، وَرَأَيَا السَّرْخَسَ الْأَحْمَرَ وَصُفُوفًا مُتَعَدِّدَةً مِنْ أَشْجَارِ النَّخْلِ.

كَمَا تَجَوَّلَ فِي الْمَدِينَةِ وَمَرَا بِبُيوْتِهَا وَحَدَائِقِهَا السَّاحِرَةِ. وَبِنِهَايَةِ فَتْرَةِ الصَّبَاحِ، عَادَ إِلَى مَتْنِ الْبَاخِرَةِ «رَانِجُون» وَكَانَا مُسْتَعِدِينَ لِلْإِبْحَارِ ثَانِيَّةً. كَمَا أَنْهَى باسِبَارْتُو مَهَامَهُ وَأَحْضَرَ بَعْضَ الْفَاكِهَةِ الطَّازِجَةِ الَّتِي شَارَكَهَا مَعَ عُودَا فَوْرَ عُودِتِهَا إِلَى سَطْحِ الْبَاخِرَةِ، ثُمَّ وَدَّعَ الْمُسَافِرُونَ الْثَّلَاثَةَ سِنْغَافُورَةَ، وَالْبَاخِرَةُ تُغَادِرُ الْمِينَاءَ مُتَجَهَّةً إِلَى هُونِجْ كُونِجْ.

كانت الأيام الأولى من الرحالة هادئة تخلو من الأحداث، فكان الطقس جميلاً والرياح معتدلة، ولكن في منتصف الطريق في الرحالة التي تستغرق الشهرين شر يومنا، تغير الطقس، فبدأت الأمواج البحرية تهتز مع بداية العاصفة، وتأخّلت السفينة عن موعدها، وقد أغضب ذلك باسبارتو في حين حافظ فيلياس فوج على هدوئه.

كان فيلياس يمضي نهاره مع عودا، بينما كان يدون ملاحظاته في المساء. وفي أحد الأيام، وجّد فيكس باسبارتو يتحرّك حيّةً وذهاباً بتواتر على سطح السفينة. فقال: «أنت على عجلة من أمرك اليوم!» قال باسبارتو: «عجلة شديدة! الطقس يؤخرنا، وهذه السفينة ليست سريعة بما يكفي.»

فسأله فيكس: «إذن، أنت تصدق الآن أنك في جولة حول العالم؟» قال باسبارتو: «بالطبع يا سيّد فيكس، لا تؤمن بهذا؟» وعمّر له ثم سار مبتداً. حيرت تلك الغمزة فيكس، فهل كانت تعني أنّ باسبارتو قد علم أنه محقّ؟ هلاكتشاف الأمر؟ وفي اليوم التالي تقابل الرجالان مرّة أخرى. قال باسبارتو: «حسناً، هل سنراك مجدداً في طريقنا إلى أمريكا يا سيّد فيكس؟» وعمّر له مرّة أخرى.

تمّت فيكس: «ام، آدم، لا أعلم.»
ـ «هذا غريب، فلقد كنت مسافراً إلى بومباي فقط، ولكنك بعد ذلك ذهبـت إلى كلكتا، وهـا أنت الآن في طريقك إلى هونج كونج.»

ضرب باسبارتو فيكس على ظهره ضربة خفيفة وهو يغادر، فعاد فيكس إلى كابينته وهو مشتت الذهن؛ فالخاريم حتماً قد اكتشف الحقيقة، وفكّر في نفسه: «هـناك شيء واحد فقط أستطيع فعلـه، يجب أن أخبر باسبارتو بكل شيء.»

كانت الرياح تشتد في كل يوم أكثر عمما قبلـه، وكانت الأمواج العملاقة تتـقاذـف البـاخـرة، فأجبرـت البـاخـرة على الإبحـار بـطـءـاً شـدـيدـاً، حتـى إنـهم سـيـتـأـخـرـونـ في الوـصـولـ إلى هـونـجـ كـونـجـ لـمـدةـ يـوـمـ كـامـلـ وـظـلـلـ فيـلـيـاسـ هـادـئـاـ بـالـرـاغـمـ مـنـ أـنـ هـذاـ التـاخـيرـ يـعـنيـ أـنـ هـتـمـ سـيـخـسـ الرـهـانـ، فـلـقـدـ اـسـتـهـلـكـ كـلـ الـأـيـامـ الزـائـدـةـ فيـ الـهـنـدـ عـنـدـمـاـ أـجـبـرـوـ عـلـىـ السـفـرـ عـلـىـ

ظَهَرَ الْفِيلَةُ، وَكَانَ يَأْمُلُ فِي الْحُصُولِ عَلَى الْمَزِيدِ مِنَ الْوَقْتِ. كَانَتْ عُودَا مُنْدَهَشَةً مِنْ أَنَّهُ لَا يَشْعُرُ بِالْقَلْقِ لِأَنَّهُمْ سَيَفْوَتُهُمُ الْمَرْكُبُ مِنْ هُونِجَ كُونِجَ إِلَى الْيَابَانِ.

بِالْطَّبِيعِ كَانَ فِي كِسْ سَعِيدًا بِهَذَا التَّاخِرِ، فَذَلِكَ يَعْنِي أَنَّ مُذَكَّرَتَهُ لَدَيْهَا الْمَزِيدُ مِنَ الْوَقْتِ لِلْوُصُولِ، أَمَّا باسِبَارُتو الْمِسْكِينُ فَكَانَ يَتَمَّشُ ذَهَابًا وَإِيَابًا فِي كُلِّ اتِّجَاهٍ مِنْ شِدَّةِ قَلْقِهِ.

عِنْدَمَا رَسَتِ الْبَاحِرَةُ أُخْرِيًّا فِي هُونِجَ كُونِجَ، غَادَرَ الرُّكَابُ التَّلَاثَةُ الْبَاحِرَةَ «رَانِجُونَ» وَذَهَبُوا لِيَسَّالُوا عَنِ الْبَاحِرَةِ الْمُتَجَهَّةِ إِلَى مَدِينَةِ يُوكُوهَاما، وَسَأَلَ فِيلِيَّاسَ فِي مَكْتبِ الْجَوَازَاتِ إِنَّا كَانُوا قَدْ تَحَلَّفُوا عَنْ مَوْعِدِ الْبَاحِرَةِ أَمْ لَا.

قَالَ الْمُوَظَّفُ الَّذِي يَخْتَمُ جَوَازَ السَّفَرِ: «كَلَّا، فَقَدْ كَانَتْ لَدَيْهِمْ مُسْكَلَةً فِي أَحَدِ الْمَرَاجِلِ؛ فَسَتَتَّخَرُ حَتَّى أَوْجَ الْمَدِّ فِي صَبَاحِ الْغَدِيرِ.»

قَالَ فِيلِيَّاسُ دُونَ أَنْ تَعْكِسَ مَلَامِحُهُ أَيِّ مَشَاعِرَ: «حَسَنًا، مَا هُوَ اسْمُ الْبَاحِرَةِ؟»

قَالَ الْمُوَظَّفُ: ««كَارِنَاتِيكُ»، وَمَكْتَبُ التَّذَاكِرِ فِي نِهَايَةِ الشَّارِعِ.»

انْتَرَعَ باسِبَارُتو يَدَ الرَّجُلِ وَسَلَمَ عَلَيْهِ بِحَفَاوةٍ شَدِيدَةٍ وَهُوَ يَقُولُ بِحَمَاسٍ: «شُكْرًا لَكَ! شُكْرًا لَكَ! أَنْتَ أَفْضَلُ الرِّجَالِ الطَّيِّبِينَ!»

لَقَدْ كَانَ الْحَظُّ فِي جَانِبِهِمْ! فَلَوْ لَمْ يَكُنْ الْمَرْكُبُ قَدْ تَوَقَّفَ لِلإِصْلَاحِ، لَكَانَ عَلَيْهِمْ الانتِظَارُ لِأَسْبُوعٍ آخَرَ قَبْلَ السَّفَرِ إِلَى الْيَابَانِ. حَجَرَ فِيلِيَّاسُ غُرْفَةً لَهُمْ فِي فُنْدُقِ «كِلُوبُ هوَتِيل» حَيْثُ سَيَقْضُونَ الْوَقْتَ هُنَاكَ حَتَّى يَصْعُدُوا عَلَى مَتْنِ الْبَاحِرَةِ فِي الْيَوْمِ التَّالِي، حَيْثُ كَانَ مِنَ الْمُقْرَرِ أَنْ تُبْحِرَ الْبَاحِرَةُ فِي الْخَامِسَةِ مِنْ صَبَاحِ الْيَوْمِ التَّالِي. وَبَعْدَ الْإِنْتَهَاءِ مِنْ تَرْتِيبِ هَذَا الْأَمْرِ، تَرَكَ فِيلِيَّاسُ عُودَا فِي صُحبَةِ باسِبَارُتو وَانْطَلَقَ لِيَبْحَثَ عَنْ قَرِيبِهَا جِيجِيُّوَيِّ.

وَبَيْنَمَا كَانَ فِي السُّوقِ، صَادَفَ فِيلِيَّاسَ تَاجِرًا يَعْرِفُ جِيجِيُّوَيِّ، وَقَالَ لَهُ ذَلِكَ التَّاجِرُ إِنَّ السَّيِّدَ جِيجِيُّوَيِّ قَدْ غَادَرَ هُونِجَ كُونِجَ مُنْذُ عَامِيْنَ وَانْتَقَلَ إِلَى هُولُنْدَا.

وَعِنْدَمَا عَادَ فِيلِيَّاسَ إِلَى الْفُنْدُقِ جَلَسَ مَعَ عُودَا لِيُخْبِرَهَا أَنَّ قَرِيبَهَا قَدْ انتَقَلَ.

فِي الْبِدَايَةِ لَمْ تَقْلُ شَيْئًا وَظَلَّتْ تُقْكِرُ، ثُمَّ قَالَتْ بِصَوْتِهَا الْحُلُوِّ الرَّقِيقِ: «مَا الَّذِي عَلَيْهِ فَعْلَهُ يَا فِيلِيَّاس؟»

فَقَالَ: «هَذَا بَسِيطٌ جِدًا، عَلَيْكِ الذَّهَابُ إِلَى أُورُوبَا.»

الرَّحْلَةُ مِنَ الْهِنْدِ إِلَى هونج كونج

- «وَلَكِنِّي لَا أَسْتَطِيعُ أَنْ أَكُونَ عَقَبَةً فِي طَرِيقِكَ.»

فَقَالَ فِيلِيَّاسُ: «هَذَا هُرَاءٌ، فَأَئْتِ لَسْتَ عَقَبَةً نِهَائِيًّا. إِنَّهُ لِمَنْ دَوَاعِي سُرُورِنَا أَنْ تُزَافِقِنَا فِي رَحْلَاتِنَا. باسْبَارْتُو!»

- «سَيِّدِي؟

- «رَجَاءً احْجِزْ ثَلَاثَ كَبَائِنَ عَلَى مَتْنِ الْبَاحِرَةِ «كَارِنَاتِيك»، فَسَنَذْهَبُ جِمِيعًا إِلَى الْيَابَانِ، وَمِنْ هُنَاكَ سَنَتَّجُهُ إِلَى أَمْرِيَّكَا.»

شَعَرَ باسْبَارْتُو بِسَعَادَةٍ غَامِرَةٍ لِأَنَّ عُودًا سَتُسَافِرُ مَعَهُمْ، وَقَفَرَ بِسَعَادَةٍ مُغَادِرًا
الْغُرْفَةَ لِيُنَفِّذْ مُهَمَّةَ الْجِدِيدَةَ.

الفصل الحادي عشر

باسبارتو يُبالغ في الاهتمام لأمر فيلياس فوج ... وعاقبته ذلك

أَحَدَ باسبارتو يَتَجَوَّلُ فِي هونج كونج وَهُوَ يَضْعُ يَدِيهِ فِي جُيوبِهِ، وَكَانَ الْمِينَاءُ يَعْجُبُ بِالْعَدِيدِ مِنَ السُّفُنِ مِنْ شَتَّى أَنْحَاءِ الْعَالَمِ: إِنْجْلِيزَا وَفَرَنْسَا وَالْأَمْرِيَكَيْنِ وَهُولَانْدَا وَالْيَابَانِ وَالصِّينِ. وَعِنْدَمَا وَصَلَ إِلَى رَصِيفِ الْمِينَاءِ حَيْثُ سَيَحْجُزُ كَبَائِنَ عَلَى مَتْنِ الْبَاحِرَةِ «كَارْنَاتِيك»، رَأَى فيكس هُنَاكَ، وَلَمْ يَكُنْ مُذْهِشًا.

كَانَ الْمُحْقُقُ نَفْسُهُ لَا يَبْدُو سَعِيدًا؛ إِذْ إِنَّ مُذَكَّرَتَهُ لَمْ تَصِلْ بَعْدُ.
قالَ باسبارتو: «حَسَنًا، هَلْ قَرَرْتَ الْإِنْخِسْمَامَ إِلَى رَحْلَتِنَا إِلَى اُمْرِيَكا يَا فيكس؟»
أَجَابَهُ فيكس وَهُوَ يَكُنُّ عَلَى أَسْنَانِهِ: «نَعَمْ».
قالَ باسبارتو: «حَسَنًا! كُنْتُ أَعْلَمُ أَنَّ الْحَالَ سَيَنْتَهِي بِكَ مَعْنَا! تَعَالَ لِنَحْجِزُ كَبَائِنَنا». وَذَهَبَ الرَّجُلُانِ إِلَى مَكْتَبِ الْبَاحِرَةِ حَيْثُ أَخْبَرُهُمَا الْمُوَظَّفُ أَنَّ إِصْلَاحَ السَّفِينَةِ قَدْ انتَهَى الْآنَ، وَسَتُتَبَّحِرُ فِي الْمَسَاءِ بَدَلًا مِنْ صَبَاحِ الْغَدِ.

قالَ باسبارتو: «رَائِعٌ! سَأَذْهَبُ لِأَخْبَرَ سَيِّدِي، سَيَكُونُ سَعِيدًا لِلْغَايَاةِ». قَرَرَ فيكس أَنَّ الْوَقْتَ قَدْ حَانَ لِيُخْبِرَ باسبارتو بِكُلِّ شَيْءٍ؛ إِذْ كَانَ يَعْلَمُ أَنَّ هَذِهِ هِيَ الطَّرِيقَةُ الْوَحِيدَةُ لِإِبْقَاءِ فيلياس فوج فِي هونج كونج حَتَّى وُصُولِ مُذَكَّرَةِ الْقُبِضِ عَلَيْهِ، فَسَأَلَ الْخَادِمَ إِذَا كَانَ مِنَ الْمُمْكِنِ أَنْ يُشَارِكُهُ وَجْبَةً مِنَ الطَّعَامِ، وَذَهَبَ الْإِثْنَانِ إِلَى مَطْعَمٍ صَغِيرٍ قَرِيبٍ مِنَ الْمَرْفَأِ.

وَبِمُجَرَّدِ أَنْ دَخَلَ إِلَى الْمَطْعَمِ، وَجَدَا نَفْسَيْهِمَا فِي عُرْفَةِ كِبِيرَةِ مَلِيَّةٍ بِكَرَاسِيِّ مُرِيَّةٍ وَالْعَدِيدِ مِنَ الْوَسَائِلِ. وَتَجَاءَتِ الرِّجْلَانِ أَطْرَافُ الْحَدِيثِ عَلَى الْعَشَاءِ، وَعِنْدَمَا أَنْهَى بَاسِبَارْتُو وَجْبَتَهُ، نَهَضَ لِيُغَادِرِ، فَقَالَ لَهُ فِي كِسْ: «أَنْتَظِرْ، هُنَاكَ شَيْءٌ آخَرُ أَوْدُ أَنْ اتَّحَدَ مَعَكَ عَهْنَ».»

- «يَجْبُ أَنْ تَنْتَظِرَ، فَعَلَيَّ أَنْ أُخْبِرَ سَيِّدِي أَنَّ الْبَاحِرَةَ سَتُغَادِرُ مُبَكِّرًا.»

- «أَنْتَظِرْ! فَمَا أُرِيدُ قَوْلَهُ مُتَعَلِّقًا بِالسَّيِّدِ فَوْجِ.»

وَضَعَ فِي كِسْ يَدَهُ عَلَى ذِرَاعِ بَاسِبَارْتُو وَقَالَ بِهُدُوِّ: «لَقَدْ حَمَنْتَ مَنْ أَكُونُ، أَلَيْسَ كَذَلِكَ؟»

ابْنَسَمَ بَاسِبَارْتُو: «بِالطَّبِيعِ.»

قَالَ فِي كِسْ: «حَسَنًا، فَإِنَّكَ حَتَّمًا تَعْلَمُ أَنَّ مُهْمَتِي تَنْطَوِي عَلَى أَمْوَالِ طَائِلَةِ، وَأَنَا مُسْتَعِدٌ أَنْ أُعْطِيَكَ بَعْضًا مِنْهَا إِذَا أَبْقَيْتَ السَّيِّدَ فَوْجَ فِي هُونِجَ كُونِجَ. لَا تُخْبِرْهُ بِأَمْرِ السَّفِينَةِ.»

- «لَا أُخْبُرُهُ! لَقَدْ زَادَ الْأَمْرُ عَنْ حَدِّهِ يَا سَيِّدُ. لَقَدْ ظَلَّنْتُ أَنَّ أَعْصَاءَ نَادِي «رِيفُورْمَ كِلُوب» مِنَ الشُّرَفَاءِ.»

نَظَرَ فِي كِسْ إِلَى بَاسِبَارْتُو بِاسْتِغْرَابٍ لِوَهْلَةٍ ثُمَّ تَسَاءَلَ: «مَنْ تَظْلِنِي؟»

- «أَنْتَ جَاسُوسُ مُرْسِلٍ لِتَبَيَّنَا وَلِتَأْكُدَ مِنْ أَنَّ فِيلِيَا سِيَّاسَ يَقُومُ بِرِحْلَةٍ تَزِيهَةٍ حَوْلَ الْعَالَمِ، وَيُمْكِنُ أَنْ تَكُونَ قَدْ أُرْسِلْتَ لِتَتَدَخَّلَ فِي الْأَمْرِ، وَلَكِنِّي لَنْ أُسْمَحَ بِذَلِكَ. وَرُغمَ ذَلِكَ، فَأَنَا لَمْ أُلْبِغُ سَيِّدِي بِأَيِّ شَيْءٍ بَعْدُ.»

قَالَ فِي كِسْ: «إِذْنُ فِإِنَّهُ لَا يَعْلَمُ شَيْئًا؟ حَسَنًا، انتَظِرْ دِيقَيْقَةً، سَاحْضُرْ لَنَا بَعْضًا مِنْ شَرَابِ الْكَاكَاوِ.»

نَهَضَ فِي كِسْ وَتَرَكَ الطَّاولَةَ، وَفِي طَرِيقِهِ لِإِحْصَارِ الْكَاكَاوِ تَوَقَّفَ لِيَتَحَدَّثَ مَعَ رَجُلٍ فِي زَاوِيَةِ مُظْلِمَةٍ مِنَ الْغُرْفَةِ. وَكَانَ فِي كِسْ قَدْ طَلَبَ مِنْ هَذَا الرَّجُلِ - وَهُوَ مِنْ قِسْمِ شُرْطَةِ هُونِجَ كُونِجَ - أَنْ يَصْحَبَهُمْ إِلَى الْمَطْعَمِ، وَكَانَ فِي كِسْ يَعْلَمُ أَنَّ عَلَيْهِ أَنْ يَفْعَلَ شَيْئًا، فَلَا يُمْكِنُهُ أَنْ يَتْرُكَ فِيلِيَا سِيَّاسَ يُغَادِرِ هُونِجَ كُونِجَ.

عَادَ فِي كِسْ إِلَى الطَّاولَةِ وَمَعْهُ كُوبَانِ مِنَ الْكَاكَاوِ، وَبَدَأَ حَدِيثَهُ قَائِلًا: «بَاسِبَارْتُو، أَحْشَى أَنَّكَ مُخْطِئٌ، فَأَنَا لَسْتُ عُضْوًا فِي نَادِي «رِيفُورْمَ كِلُوب»، بَلْ أَنَا مُحَقَّقٌ مِنْ لَدْنَ،

باسبارتو يُبالغ في الاهتمام لأمر فيلياس فوج ...

وَسَيِّدَكَ مَا هُوَ إِلَّا لِصٌ قَامَ بِسْرِقَةٍ مَبْلَغٍ كَبِيرٍ مِنَ الْمَالِ مِنْ بَنْكِ إِنْجُلْتَرَا، وَلَقَدْ أُرْسِلَتْ لِإِسْتِعَادَةِ هَذِهِ الْأَمْوَالِ، وَيَجِبُ عَلَيْكَ مُسَاعِدَتِي لِإِبْقَايِهِ فِي هُونِجَ كُونِجَ حَتَّى يُمْكِنَنِي إِلْقَاءِ الْفَبِيْضِ عَلَيْهِ.»

سَقَطَ فَمُ بِاسْبَارْتُو مَشْدُوْهَا: «لِصُّ! إِنَّهُ لَيْسَ لِصًا! بَلْ إِنَّهُ أَشْرَفُ الرِّجَالِ!»
أَخْبَرَ فيِكسَ بِاسْبَارْتُو أَنَّ مُوَاصِفَاتِ اللِّصِ تَتَطَابِقُ تَمَامًا مَعَ مُوَاصِفَاتِ فيلياس فوج؛ فَاللِّصُّ مِنَ النُّبْلَاءِ مِثْلَ فيلياس فوج، وَكَذَلِكَ لَدِيهِ أَمْوَالٌ طَائِلَةٌ مِثْلَ فيلياس، كَمَا أَنَّهُ فِي نَفْسِ الطُّولِ وَالْبِنْيَةِ، وَكَافَةُ الْأَحْدَاثِ أَكَدَتْ هَذَا.
ذَكَرَ فيِكسَ الْخَادِمَ بِعِمَرِهِ الْمَحْدُودَةِ بِرَئِيسِهِ؛ إِذْ إِنَّهُ – رَغْمَ كُلِّ شَيْءٍ – بَدَأَ الْعَمَلَ لَدِيهِ فِي يَوْمٍ مُغَادِرَتِهِمْ، ثُمَّ سَأَلَهُ فيِكسَ مُجَدَّدًا: «الآنَ، هَلْ سَتُسَاعِدُنِي فِي إِبْقَايِهِ فِي هُونِجَ كُونِج؟»
– «أَنَا أَرْفُضُ، فَسَيِّدِي رَجُلُ تِبِيلٍ وَمُحَرَّمٍ، وَلَمْ يَرْتَكِبْ تِلْكَ الْجَرِيمَةَ، أَنَا لَا أُصَدِّقُكَ وَسَأَرْحَلُ الْآنَ.»

– «أَتَمَنَّ أَنْ تُغَيِّرَ رَأِيكَ». وَبَيْنَمَا كَانَ بِاسْبَارْتُو يَهُمُ بِالْمُغَادَرَةِ، أَوْمَأَ فيِكسَ بِرَأْسِهِ لِلرَّجَلِ فِي الزَّاوِيَةِ الْمُظْلَمَةِ، وَفَجَأًةً تَسَلَّلَ الرَّجُلُ خَلْفَ بِاسْبَارْتُو وَضَرَبَهُ عَلَى رَأْسِهِ، فَسَقَطَ بِاسْبَارْتُو أَرْضًا! ثُمَّ أَوْمَأَ الرَّجُلُ لِفِيكسَ قَبْلَ أَنْ يُسْرِعَ إِلَى الْخَارِجِ حَتَّى لَا يَرَاهُ أَحَدٌ.
وَقَالَ فيِكسَ لِنَفْسِهِ وَهُوَ يَحْمِلُ الْخَادِمَ وَيَضْعُفُ عَلَى مَقْعِدٍ وَثِيرٍ: «أَخِيرًا! لَنْ يَعْرِفَ السَّيِّدُ فوج أَنَّ الْبَاخِرَةَ سَتُغَادِرُ مُبَكِّرًا، وَسَيَكُونُ مُجْبِرًا عَلَى الْبَقاءِ فِي هُونِجَ كُونِجَ لِأَسْبُوعٍ آخرًا!»
وَبِهِذَا تَرَكَ فيِكسَ بِاسْبَارْتُو الْمِسْكِينَ فِي الْمَطْعَمِ وَهُوَ فَاقِدُ الْوَعْيِ.

كَانَ فيلياس وَعُودَا يَتَجَوَّلُنِ فِي هُونِجَ كُونِجَ لِشَرَاءِ مُؤْنَ لِلرُّحْلَةِ الْبَحْرِيَّةِ الطَّوِيلَةِ الَّتِي تَنْتَظِرُهُمَا، وَلَمْ يَكُنْ أَيُّ مِنْهُمَا يَعْلَمْ أَنَّ «كارناتِيك» سَتُغَادِرُ فِي ذَلِكَ الْمَسَاءِ. وَقَضَيَا الْيَوْمَ فِي التَّسْوِيقِ وَتَنَاقُلِ الْغَدَاءِ ثُمَّ عَادَا إِلَى غُرْفَتِهِمَا لِلنَّوْمِ.
وَلَمْ يُلَاحِظَا غِيَابَ بِاسْبَارْتُو حَتَّى صَبَاحِ الْيَوْمِ التَّالِي. ذَهَبَ فيلياس وَعُودَا إِلَى رَصِيفِ الْمِينَاءِ وَحْدَهُمَا، وَكَانَا يَأْمُلَانِ فِي الْعُنُورِ عَلَى الْخَادِمِ هُنَاكَ، لَكِنْهُمَا عِنْدَمَا وَصَلَا،

لم يجدا سوئي فيكس! قال فيكس: «ألم تكن مسافراً على متن الباخرة «رانجون»؟ أنا صديق خادمك، كنت أمل أن أحده هنا.»

أجاب فيلياس: «نعم، كنت على متن «رانجون»، ونحن إلاثنان أيضاً نبحث عن باسبارتو، إنه لم يعود إلى الفندق ليلة أمس». قال فيكس: «هذا غريب حقاً!»

وأفقته عودا قائلة: «نعم، إنه كذلك، هل تعتقد أنه سبقنا على متن الباخرة «كارناتيك»؟»

قال فيكس: «أخشى أن لدى بعض الأخبار السيئة؛ فقد انتهى إصلاح الباخرة «كارناتيك» أمس وغادرت مبكراً. لقد فاتتكم الباخرة، ولن تبحر باخرة أخرى إلى يوكوهاما قبل أسبوع».«

في البداية نظر فيلياس إلى فيكس ثم إلى الميناء حوله وقال بهدوء: «حسناً، يجب علينا فقط أن نأخذ مركب آخر. يا سيد فيكس، هل من الممكن أن تظل مع الأنسنة عودا للحظة؟»

أوما فيكس ببطء ثم رأقب فيلياس وهو يسير بسرعة مبتعداً، وتسلل الفقل إلى نفسه وهو يفك: «مركب آخر. لا يمكنه العثور على مركب آخر.«

وامتدت اللحظة لتصبح دقيقة ثم ساعة، ثم مررت ساعة أخرى قبل أن يعود فيلياس أخيراً ويقول لهما: «لقد فعلتها! لقد عثرت على مركب آخر سينقلنا إلى شانغهاي، ومن هناك يمكننا اللحاق بالسفينة «كارناتيك» والذهاب إلى سان فرانسيسكو!» ثم التفت إلى فيكس قائلاً: «أنا متأكد من أن هناك متسعاً لك، إذا كنت تحب أن تتضمن إلينا.»

قال فيكس - وهو يتصرّف ابتسامة زائفة: «شكراً لك يا سيد».«

قال فيلياس: «حسناً، سنغادر في غضون نصف ساعة.»

قالت عودا: «ولكن باسبارتو، ماذ عنة؟ يجب أن نعثر عليه.»

قال فيلياس: «سنفعل ما بوسعنا قبل أن نغادر يا عودا.»

باسبارتو يُبالغ في الاهتمام لأمر فيلياس فوج ...

هُرِعَ فيكس ليُحْزِمَ أَمْتَعَتَهُ حَتَّى يُغَادِرَ مَعْهُمَا، وَفِي هَذِهِ الْأَنْثَاءِ، ذَهَبَ فيلياس وَعُودَا إِلَى قِسْمٍ الشُّرْطَةِ فِي مُحاوَلَةٍ لِلْعُتُورِ عَلَى باسبارتو، وَتَرَكَا مَبْلُغاً مِنَ الْمَالِ مَعَ الشُّرْطَةِ لِيَتَمَكَّنُوا مِنَ الْبَحْثِ عَنْ باسبارتو.

وَكَانَ الْمَرْكِبُ الَّذِي اسْتَأْجَرَهُ فيلياس يُدْعَى «تَانِكَادِير»، وَقُبْطَانُهُ يُدْعَى جُون بِاِنْسِبِي، وَطَاقَمُهُ مُكَوَّنٌ مِنْ أَرْبَعَةِ بَحَارَةِ أَشْدَاءِ. وَعِنْدَمَا صَعَدَ عُودَا وَفِيلِيَّاس عَلَى مَتْنِ الْمَرْكِبِ، اذْهَشَا لَأَنَّ فيكس قَدْ سَبَقَهُمَا إِلَى سَطْحِ الْمَرْكِبِ بِالْفَعْلِ.

وَقَالَ فيلياس: «أَعْتَدْرُ عَنْ صِغَرِ حَجْمِ الْكَبَائِنِ، وَلَكِنْ عَلَى الْأَقْلَلِ لَيْسَ عَلَيْنَا الْإِنْتَظَارُ أَسْبُوعًا آخَرَ لِمُتَابَعَةِ الرَّحْلَةِ!»

اَنْحَتَيَ فيكس وَلَمْ يَتَفَوَّهْ بِكَلِمَةٍ، وَفَكَرَ قَائِلاً: «إِنَّهُ رَجُلٌ نَّبِيلٌ، عَلَيَّ الْإِعْتَرَافُ بِذَلِكَ.»

كَانَ ذَلِكَ فِي بِدَايَةِ شَهْرٍ نُوفِمِيرٍ، مِمَّا يَعْنِي أَنَّ الْمُسَافِرِينَ قَدْ بَدَءُوا رِحْلَتَهُمْ مُنْذَ أَكْثَرِ مِنْ سِتَّةِ وَثَلَاثَيْنَ يَوْمًا. وَكَانَتْ بِحَارُ الصَّيْنِ هَاجِةً وَالرِّيَاحُ قَوِيَّةً، وَكَانَتْ «تَانِكَادِير» تَشُقُّ طَرِيقَهَا سُرْعَةً، وَكَانُ القُبْطَانُ بِاِنْسِبِي يَعْلَمُ أَنَّ لَدِيهِ سَفِينَةَ قَوِيَّةً، وَبِيَذْلُّ قُصَارَى جُهْدِهِ لِجَعْلِهَا تَتَحرَّكُ بِأَقصَى سُرْعَةِ مُمْكِنَةِ آهَا.

وَقَفَ فيلياس فوج عَلَى ظَهِيرِ السَّفِينَةِ يُرَاقِبُ الْأَمْوَاجَ الْعَاتِيَّةَ الَّتِي تَزَدَّادُ ارْتِقَاعًا، وَكَانَ الْمَرْكِبُ يَهْتَزُ بِشَدَّةٍ إِلَى الْأَمَامِ وَالْخَلْفِ، وَلَكِنَّ فيلياس لَمْ يَسْقُطْ قَطُّ، فَكَانَتْ لَدِيهِ قُدْرَةٌ هَائلَةٌ عَلَى السَّيْرِ عَلَى سَطْحِ الْمَرْكِبِ، وَكَانَتِ الْأَشْرَعَةُ الْبَيْضَاءُ الضَّخْمَةُ تَخْفِقُ فِي السَّمَاءِ، وَجَلَسَتْ عُودَا عَلَى كُرْسِيٍّ وَتَشَبَّثَتْ خُوفًا عَلَى حَيَاتِهَا.

أَمَّا فيكس، فَقَدْ قَبَعَ فِي الْكَابِينَةِ، وَكَانَ حَزِينًا لَأَنَّ عَلَيْهِ الْلَّاحَقَ بِفِيلِيَّاس إِلَى أَمْرِيَّكا، وَلَكِنَّهُ قَدْ قَطَعَ وَعْدًا عَلَى نَفْسِهِ أَنَّهُ لَنْ يَسْتَسِلَّمَ أَبَدًا، بَلْ سَيَقُومُ بِوَاجِبِهِ لِلتَّأْكِيدِ مِنَ الْقَبْضِ عَلَى اللَّصِّ. وَبِالرَّاغِمِ مِنَ الْمُعَامَلَةِ الطَّبِيبَةِ الَّتِي تَتَقَاهَا فيكس عَلَى مَتْنِ الْقَارِبِ كَانَ عَلَيْهِ التَّرْكِيزُ عَلَى وَاجِبِهِ؛ فَلَمْ يَكُنْ سُلُوكُ فيلياس النَّبِيلُ الْمُثَالُ دَائِرِيًّا فَهُوَ مُجْرِمٌ، وَكَانَتْ مَهْمَمَةُ فيكس هِيَ الْقَبْضُ عَلَيْهِ. وَمَعَ ذَلِكَ، لَمْ يَكُنْ سَعِيدًا حِيَالَ رُفِضِ فيلياس أَنْ يَأْخُذَ أَيِّ أَمْوَالٍ مِنْهُ، سَوَاءً مُقَابِلَ الطَّعَامِ أَوْ رَحْلَةِ السَّفِينَةِ. وَعِنْدَمَا سَأَلَ فيكس عَنِ السَّبَبِ، أَجَابَ فيلياس بِوُضُوحٍ وَسُرْعَةٍ أَنَّهُ أَمْرٌ لَا يَسْتَحِقُ الْحَدِيثُ عَنْهُ، وَأَنَّ الرَّحْلَةَ جُزْءٌ مِنْ «نَفَقَاتِهِ الْعَامَةِ».

فَكَرْ فيكس: «إِنَّهُ بِالطَّبِيعِ يَمْلُكُ مَا لِأَنَّهُ لِصُّ! فِي الْيَوْمِ الْأَوَّلِ، قَطَعَتِ السَّفِينَةُ أَكْثَرَ مِنْ مِائَةَ مِيلٍ، وَكَانَ فِيلِيَاـسَ سَعِيدًا بِهَذَا التَّقْدُمِ، كَمَا ارْتَفَعَتْ مَعْنَوِيَّاتُ الْقُبْطَانِ إِلَى السَّمَاءِ، وَكَانَ عَلَى يَقِينٍ أَنَّهُمْ سَيَصِلُونَ إِلَى شَانِغْهَايِ فِي الْوَقْتِ الْمُحَدَّدِ لِيَلْحَقَ فِيلِيَاـسَ بِالْبَارِخَةِ» «كارِنَاتِيك».

لَكِنْ فِي الْيَوْمِ الْثَالِثِ تَغَيَّرَ كُلُّ شَيْءٍ؛ إِذْ صَاحِبَ فَجْرَ ذَلِكَ الْيَوْمِ سَمَاءً مُظْلَمَةً وَمُلْبَدَةً بِالْغُيُومِ.

وَقَفَ الْقُبْطَانُ عَلَى سَطْحِ السَّفِينَةِ بِجَانِبِ فِيلِيَاـسَ، وَتَأَمَّلَ مَعًا السُّحُبَ الْكَثِيفَةَ الَّتِي تَتَكَوَّنُ خَلْفَ الْقَارِبِ.

قَالَ الْقُبْطَانُ بِاِنْسَبِي: «أَعْتَقَدْ أَنَّنَا سَنُوَاجِهُ عَاصِفَةً عَاتِيَّةً يَا سَيِّدي». قَالَ فِيلِيَاـسَ: «أَنَا أَيْضًا أَعْتَقَدْ ذَلِكَ، وَلَكِنَّ الرِّيَاحَ تَهُبُّ فِي الاتِّجَاهِ الصَّحِيحِ لِمُسَاعِدَتِنَا فِي الْمُضِيِّ قُدُّمًا».

نَظَرَ الْقُبْطَانُ إِلَى رَاكِبِهِ، وَقَالَ: «إِذْنُ، هَلْ تَرْغُبُ فِي الِاسْتِمْرَارِ فِي الِإِبْحَارِ عَلَى هَذَا الْمَنْوَالِ؟»

قَالَ فِيلِيَاـسَ: «بِالْطَّبِيعِ!»

تَفَحَّصَ الْقُبْطَانُ فِيلِيَاـسَ فَوْجَ بِنَظَرَةٍ طَوِيلَةٍ وَلَاحَظَ بِهُدُوِّهِ أَنَّهُ كَانَ جَادًا فَعُلَّا.

أَخَذَ الْمَرْكَبُ يَتَمَالِيُّ وَيَرْتَحِنُ، لَكِنَّهُ حَافَظَ عَلَى مَسَارِهِ إِلَى شَانِغْهَايِ، رَغْمَ أَنَّ إِبْطَاءَ الْمَرْكَبِ وَالتَّوْفُّفِ فِي أَقْرَبِ مِينَاءٍ كَانَ أَكْثَرَ أَمَانًا. تَحَوَّلَ النَّهَارُ إِلَى لَيْلٍ، وَاللَّيْلُ إِلَى نَهَارٍ، وَالْعَاصِفَةُ تَتَوَرُّ مِنْ حَوْلِهِمْ، وَلَمْ يَكُنْ هُنَاكَ أَيُّ قَوَابِرَ أُخْرَى عَلَى مَرْمَى الْبَصَرِ، فَقَدْ كَانَتْ «تَانِكَادِير» تُبْحِرُ وَحْدَهَا.

وَبِحُلُولِ ظَهِيرَةِ الْيَوْمِ الثَّانِي، هَدَأَتِ الْعَاصِفَةُ أَخِيرًا، وَلَمْ يَكُنْ لَدِيهِمْ سُوَى سِتٌّ سَاعَاتٍ فَقَطْ لِلْوُصُولِ إِلَى وَجْهَتِهِمْ أَوِ الْمُخَاطَرَةِ بِعَدَمِ الْلَّاحِقِ بِالْبَارِخَةِ. وَفُجَأَةً اخْتَفَتِ الرِّيَاحُ تَمَامًا! وَلَمْ يَعْرِفْ فِيلِيَاـسَ وَمَرْأَفُوهُ كَيْفَ اسْتَطَاعَ الْقُبْطَانُ الْمَاهِرُ وَطَاقُومُ عَمَلِهِ الْحِفَاظَ عَلَى سُرْعَةِ الْمَرْكَبِ، لَكِنَّهُمْ نَجَحُوا فِي الْحِفَاظِ عَلَى سُرْعَةِ الْمَرْكَبِ وَهُوَ يَشْقُ طَرِيقَهُ فِي الْبَحْرِ.

باسبارتو يُبالغُ في الاهتمام لأمرٍ فيلياس فوج ...

كَانُوا عَلَى بُعْدِ ثَلَاثَةِ أَمْيَالٍ فَقَطْ مِنْ شانغهَايِ عِنْدَمَا رَأَى فيلياس قُمْعًا طَوِيلًا أَسْوَدَ اللَّوْنِ مِنَ الْبُخَارِ أَمَامُهُمْ. إِنَّهَا «كارناتيك» تُغَادِرُ إِلَى «يوكوهاما»، حَيْثُ كَانَتْ سَتَّوَفَفْ قَبْلَ تَوْجِهِهَا إِلَى «سان فرانسيسكو»!

قالَ فيلياس فوج: «أَرِسلْ لَهَا إِشَارَةً!»
كَانَ عَلَى مَتْنِ «تانكادير» مِدْفَعٌ نُحَاسِيٌّ صَغِيرٌ، وَكَانَ مِنَ الْمُفْتَرِضِ اسْتِخْدَامُهُ فِي نَدَاءِ الْإِسْتِغَاثَةِ، فَلَقَمَهُ الْبَحَارَةُ الْقَذِيفَةُ وَأَشْعَلُوا قَاعِدَتَهُ لِإِطْلَاقِهِ.

صَاحَ فيلياس: «أَطْلُقْ!» دَوَى إِطْلَاقُ الْمِدْفَعِ فِي الْهَوَاءِ، وَقَدْ أَثَارَ دَوِيُّهُ اِنْتِبَاهَ الْبَاخِرَةِ الَّتِي عَيَّرَتْ مَسَارَهَا لِمُقَابَلَةِ «تانكادير». وهكذا استطاع فيلياس فوج وعوداً الصُّعُودَ عَلَى مَتْنِ «كارناتيك» وَالْعُودَةَ إِلَى الْمَسَارِ الصَّحِيحِ! وَلَمْ يَسْتَطِعْ فِي كُسْتَادِيَقَ حُسْنِ حَظِّهِمَا.

الفصل الثاني عشر

باسبارتو يواصل الرحلة وحيداً، وينضم لفريق «لونج نورز»

غادرت الباحرة «كارناتيك» هونج كونج في موعدها المحدد، ولكن بغرفتيْن فارغتيْن، إنهمَا غرفتا فيلياس فوج وعدا. وفي اليوم التالي، تغير راكب ذو عينيْن غائبيْن وشغّر أشعث خارج كابينته وتلمس طريقه إلى سطح الباحرة؛ إنه باسبارتو!

كان باسبارتو قد استيقظ وهو لا يزال يعاني دواراً من أثرا الصربة على رأسه بعد ثلاثة ساعات من رحيل فيكس في ذلك المطعم الكبير، وصاح: «كارناتيك! كارناتيك!» كأنما أدرك أين يحب أن يكون، وبالكاد استطاع الوقوف وسحب نفسه وتغير حتى وصل إلى الباحرة، ثم سقط على متن الباحرة وهي على وشك الرحيل من الميناء. فأشفق عليه اثنان من طاقم الباحرة وحملاه إلى كابينته، ولم يستيقظ باسبارتو إلا في منتصف اليوم التالي.

كان يفكّر قلقاً: «ماذا سيقول السيد فوج عنّي عندما يراني هكذا؟ ما الذي حدث لي؟ على الأقل تمكنت من الوصول إلى الباحرة..»

نهض باسبارتو وببدأ يستكشِفُ الباحرة، ولكنه لم ير أي شخص يبدو مثل فيلياس فوج أو عدوا، فذهب إلى غرفة الطعام ليزري ما إذا كان أي منهما هناك، لكنهما لم يكُنَا هناك.

وأخيراً، سأله باسبارتو مسافرا آخر على متن الباحرة إذا كان يعرف أين يمكنه العثور على فيلياس فوج.

فأجابه المسافر: «لا يوجد أحد بهذا الاسم على ظهر الباحرة.»

- سَأَلَ باسبارتو: «هَلْ أَنَا عَلَى مَتْنِ الْبَابِرَةِ «كارناتيك»؟»
- «نَعَمُ.»
 - «فِي الطَّرِيقِ إِلَى «يوكوهاما»؟»
 - «نَعَمُ.»

سَقَطَ باسبارتو عَلَى مَقْعِدٍ وَكَانَمَا أَصَابَتْهُ صَاعِقَةٌ، وَبَدَا يَسْتَرْجِعُ كُلَّ الْأَحْدَاثِ! لَا بُدَّ وَأَنَّ السَّيِّدَ قَدْ فَاتَتْهُ الْبَابِرَةُ. كَانَ باسبارتو الْآنَ فِي طَرِيقِهِ إِلَى الْيَابَانَ وَهُوَ لَا يَمْلُكُ نُقُودًا عَلَى الْإِطْلَاقِ، وَلَكِنْ كَانَتِ الرُّحْلَةُ سَتَسْتَغْرِقُ خَمْسَةً إِلَى سِتَّةَ أَيَّامٍ؛ لِذَلِكَ فَعَلَى الْأَقْلَمِ سَيَكُونُ أَمَامَهُ بَعْضُ الْوَقْتِ لِيُفَكَّرُ مَاذَا سَيَفْعَلُ.

عِنْدَمَا رَسَتِ السَّفِينَةُ فِي يوكوهاما، نَزَلَ باسبارتو بِبُطْءٍ مِنْ عَلَى مَتْنِ السَّفِينَةِ إِلَى الشَّاطِئِ، وَلَمْ يَكُنْ لَدِيهِ شَيْءٌ يُرْشِدُهُ سَوَى قَدْرِهِ وَهُوَ يَجُوبُ شَوارِعَ الْمَدِينَةِ الْيَابَانِيَّةِ. فِي الْبِداِيَّةِ، تَفَقَّدَ الْجُزْءَ الْأُورُوبِيَّ مِنَ الْمَدِينَةِ حَيْثُ وَجَدَ الْعَدِيدَ مِنَ التُّجَارِ يَبِيُّونَ بِضَائِعَهُمُونَ. ثُمَّ تَوَجَّهَ إِلَى الْقُنْصُلِيَّيْنِ الْفَرَنْسِيَّةِ وَالإنْجِلِيزِيَّةِ لِيَرَى إِنْ كَانَ لَدِيهِمَا أَيُّ رَسَائِلٍ مِنْ فِيلِيَّاسْ فُوجَ، وَلَكِنْ لَمْ يُحَالِفُهُ الْحَظُّ، فَمَضَى قُدْمًا فِي اسْتَكْشَافِ الْمَدِينَةِ.

وَسَأَلَ باسبارتو نَفْسَهُ وَهُوَ يَتَجَوَّلُ فِي شَوارِعِ الْمَدِينَةِ الْمُرْدَحَمَةِ: «مَاذَا سَأَفْعَلُ لِلْحُصُولِ عَلَى الطَّعَامِ؟» وَأَخَذَ يَتَفَحَّصُ نَوَافِذَ الْمَحَلَّاتِ الْتَّرِيَّةِ وَالْعَجِيَّةِ، كَمَا رَأَى مَقَاهِي وَتَمَنَّى لَوْ كَانَ لَدِيهِ الْمَالُ لِيَجِلسَ فِي إِحْدَاهَا. ظَلَّ باسبارتو جَائِعاً لِفَتْرَةٍ طَوِيلَةٍ مِنْ نَهَارِ وَلَيْلِ الْيَوْمِ الْأَوَّلِ وَهُوَ يَتَجَوَّلُ فِي أَرْجَاءِ الْمَدِينَةِ، ظَلَّ يَمْشِي وَيَمْشِي، وَلَمْ يَحْصُلْ عَلَى قِسْطٍ مِنَ الرَّاحَةِ قُطُّ، حَتَّى عِنْدَمَا حَلَّ الْمَسَاءُ.

وَفِي صَبَاحِ الْيَوْمِ التَّالِي، كَانَ باسبارتو الْمِسْكِينُ يُدْرِكُ أَنَّهُ يَحْتَاجُ لِيُأْكِلَ قَرِيبًا. كَانَ مِنَ الْمُمْكِنِ أَنْ يَبِيعَ سَاعَتَهُ وَلَكِنَّهَا كَانَتْ عَرِيزَةً جِدًا بِالنِّسْبَةِ لَهُ، وَلَمْ يَكُنْ يَرْغُبُ فِي فِرَاقِهَا. وَبَعْدَ الْكَثِيرِ مِنَ التَّفَكِيرِ، قَرَرَ أَنْ يُحَاوِلُ الْعِنَاءَ مِنْ أَجْلِ الْحُصُولِ عَلَى الطَّعَامِ. ثُمَّ فَكَرَ: «لِكِنِّي مُتَأْنِقٌ بِدَرَجَةٍ لَا تُنَاسِبُ الْغُنَاءِ فِي الشَّارِعِ. نَعَمْ، سَوْفَ أُقَاضِي مَلَابِسِي بِمَلَابِسِ ذَاتِ طَابِعِ يَابَانِيِّ.»

خَرَجَ باسبارتو مِنْ عِنْدِ تَاجِرِ الْمَلَابِسِ بِبَعْضِ الْقِطَاعِ الْفِضْسِيَّةِ فِي يَدِهِ وَمَلَابِسِ يَابَانِيَّةِ جَدِيدَةِ، فَكَانَ يَرْتَدِي ثُوبًا طَوِيلًا وَعِمَامَةً ذَاتَ جَانِبٍ وَاحِدٍ. وَفَكَرَ فِي نَفْسِهِ: «يُمْكِنِنِي التَّظَاهُرُ بِأَنَّنِي فِي مَهْرَجَانِ!»

باسبارتو يواصل الرحلة وحيداً ...

دخل باسبارتُو في أول مَقْمَهِ قابلهُ، وَطَلَبَ بعضاً مِنَ الْأَرْزِ وَالدَّجَاجِ فَوَرَ جُلوسِهِ،
وَالْتَّهَمَ طَعَامَهُ بِسُرْعَةٍ شَدِيدَةٍ. وَأَنْتَاءَ تَنَاهُلَ الطَّعَامَ فَكَرَّ باسبارتُو أَنَّهُ يُمْكِنُهُ الْعُثُورُ عَلَى
وَظِيفَةٍ عَلَى مَتْنِ بَاخِرَةِ مُتَجَهَّةٍ إِلَى أَمْرِيَكاً بَدَلًا مِنَ الْغِنَاءِ مِنْ أَجْلِ الطَّعَامِ أَوِ الْمَالِ.

«عَلَى الْأَقْلَى بِهَذِهِ الطَّرِيقَةِ سَيَكُونُ لَدَيَ أَمْلٍ فِي الْعُثُورِ عَلَى سَيِّديِ.»
عَادَ باسبارتُو إِلَى الْمَرْسَى وَهُوَ يُفَكِّرُ: «كَيْفَ سَأَجِدُ وَظِيفَةً؟ مَنْ سَيَرْكُنِي أَصْنَعُ
عَلَى مَتْنِ الْبَاخِرَةِ بِهَذِهِ الْمُلَابِسِ؟» كَانَتْ هَذِهِ الْأَسْئِلَةُ وَغَيْرُهَا تَدُورُ فِي ذِهْنِهِ عِنْدَمَا صَادَفَ
مُهَرَّجًا يَحْمِلُ لَوْحَةً ضَخْمَةً كُتِبَ عَلَيْهَا:

الفرققة البهلوانية

يُقَدِّمُهَا

المُحْترَمُ

ويليام باتولكار

لَا تُفُوتُوا آخرَ

عرض لفرققة

«لونج نوزن» «لونج نوزن»

ستتجهُ إلى

أمريكا!

قال باسبارتُو: «أَمْرِيَكا! هَذَا بِالضَّبْطِ مَا أَحْتَاجُ إِلَيْهِ!»

لَحِقَ باسبارتُو بِالْمُهَرَّجِ حَتَّى وَسْطِ الْمَدِينَةِ، وَبَعْدَ حَمْسِينَ دِقِيقَةً، كَانَ باسبارتُو
يَقِفُ أَمَامَ كَابِيَّةٍ كَبِيرَةٍ مُزَيَّنةٍ بِالشَّرَائِطِ وَمَرْسُومٍ عَلَيْهَا بَهْلَوَانَاتٍ. دَخَلَ باسبارتُو إِلَى
الْكَابِيَّةِ وَسَأَلَ عَنِ السَّيِّدِ باتولكار، الَّذِي سُرْعَانَ مَا خَرَجَ لِيُقَابِلَهُ.

سَأَلَ باتولكار: «مَاذَا تُرِيدُ؟»

فَأَجَابَهُ باسبارتُو: «أَنَا لَاعِبُ جُمْبَازٍ وَمُطْرِبٌ وَمُمْثِلٌ يَا سَيِّدي، فَهَلْ تَحْتَاجُ إِلَى أَيِّ
مِنْ مَهَارَاتِي؟»

سَأَلَهُ السَّيِّدُ باتولكار: «هَلْ أَنْتَ فَرَنْسيٌّ؟»

قال باسبارتُو: «نَعَمْ، أَنَا مِنْ بَارِيسَ، وَلَكِنِّي أَعِيشُ فِي إِنْجْلِيزْتَرَا مُنْذُ سَنَوَاتٍ طَوِيلَةٍ،
وَالآنَ، أَرْغَبُ فِي زِيَارَةِ أَمْرِيَكاً.»

- «هل أنت قوي البنيّة؟ هل تستطيع الغناء وأنت تقف على رأسك، وعلى قدمك اليميني نحلاً دواراً وعلى قدمك اليسرى سيف متوازن؟»
أجاب باسبارتو: «هاه! أعتقد ذلك!» وتذكر كيف كان رشيقاً في صغره، لقد كان بهلواناً!

- «حسناً، هذا جيد بالنسبة لي، تم تعينك!» ثم نظر إلى باسبارتو وقال: «ولكن عليك العثور على ملابس نصف لائق لترتديها؛ فالذي الذي تلبسه يبدو سخيفاً.»
شعر باسبارتو بسعادة غامرة لأنَّه نجح أخيراً في الحصول على وظيفة، فإنَّ لم يكن خادم السيد فوق، فعل الأقل أصيح في إمكانه الوصول إلى أمريكا والعنود عليه هناك. لقد حسم الأمر؛ فسينضم إلى فريق «لونج نوزن» الذين يقومون بعرض خاص داخل الفرقه بتكون هرم بشري، وكان هذا العرض المذهل هو الفصل الختامي في كل عرض.

بعد الظهيرة، بدأت الحشود في التجمع؛ فاكتظت المدرجات بأناس من مختلف الأشكال والأحجام والألوان. وحضر كذلك الموسيقيون الذين كانوا يعزفون بالأجراس القرصية والطبول الأفريقية والناي والطبلول والدفوف.

قفز المهرجون لبدء العرض، وقاموا بتنفيذ حركات مبهجة من التدحرج والقفز والاندفاع؛ مما أسعده الحشد كثيراً. كان هناك بهلوان يرمي الشموع مشتعلة في الهواء! وكان يطفئها عندما تمر بجانب فمه ويُضيئها مرة أخرى دون أن يسقط أي منها، ومتشي السائرون على الحال على سلك رفيع عبر المسارح، وكانوا يدورون ويقفزون بدون أن يسقطوا.

ورغم كل ذلك، كانت الأنوار متجهة إلى عرض «لونج نوزن»، فكانوا يرتدون مثل الإله القديم «تنجو» الذي كان لديه أنف طويل للغاية، كما كانوا يضعون أجنبة رائعة، وكانت أنوفهم مصنوعة من البامبو وطولها خمسة وستة وتحتى عشر أقدام! لكن كان بعض هذه الأنوف مُستقيماً والأخر معقوفاً وبعضاها به بُنور مُضحكه. تدحرج المهرجون وآدوا حركات بهلوانية وهم يضعون تلك الأنوف الطويلة على وجوههم، كان عرضاً لا يصدق!

أعلن السيد باتولكار عن آخر العروض في تلك الليلة؛ ألا وهو عرض الهرم البشري، ول يكن مؤدي العرض لمن يتسلقوا على ظهور بعضهم البعض، وإنما سيحافظون على اتزانهم على أنوف بعضهم البعض! ووقف باسبارتوك في وسط الحلة وعلى وجهه أنف طوله سنتين قدم، وعلى ظهره أحنيحة متعددة الآلوان.

فكَّر باسبارتوك وهو يسلق أعلى أحد الأنوف ويُسْعى جاهداً لِلحفاظ على اتزانه: «على الأقل سأحصل على عشاء الليلة». ول يكن في تلك اللحظة، وبنفس السرعة التي تشكل فيها الهرم، انهار الجميع أرضاً وتحطمت كل الأنوف حولهم.

وصاح باسبارتوك في تعجب: «سيدي! أنت هنا» كان ذلك صحيحاً! كان فيلياس فوج يجلس بين الجمود، فقد مر هو وعوداً بلافتات العرض وهمما يسكن شفاف المدينة وقررا الدخول ومُشاهدة العرض.

فقال فيلياس: «هل هذا أنت يا باسبارتوك؟
- نعم! أنا هنا! أنا هنا!»

فقال فيلياس: «حسناً، هيأينا إلى الباخرة أيها الشاب!» عادَر فيلياس وعوداً وباسبارتوك المسارح متجهين إلى الخارج، فتعقبهم السيد باتولكار إلى الخارج وهو يصرخ قائلاً إن باسبارتوك قد دمر عرضه! فأعطاه السيد فوج بكم بغض النُّقد لإصلاح ما قد تلف، وشق الثلاثة طريقهم إلى الباخرة المتجهة إلى أمريكا. كان هناك شيء واحد فقط؛ لقد نسي باسبارتوك أن يخلع أنفه، فظل يدفع ذلك الأنف والأجنبة وهو يصعد على متن السفينة التي تحمل اسم «جنرال جرانت»!

الفصل الثالث عشر

السَّيِّدُ فوج وَفَرِيقُهُ يَعْبُرُونَ الْمَحِيطَ الْهَادِيَ

كَانَ مِنَ الْمُتَوَقَّعِ أَنْ تَسْتَغْرِقَ الرِّحْلَةُ مِنَ الْيَابَانِ إِلَى أَمْرِيْكَا وَاحِدًا وَعِشْرِينَ يَوْمًا، حَيْثُ سَتَّاقِي السَّفِينَةِ مَارَاسِيَهَا فِي سانْ فِرَانْسِيَسِكُو فِي الثَّانِي مِنْ دِيَسْمْبَرِ، وَتَسْتَغْرِقُ الرِّحْلَةُ مِنْ سانْ فِرَانْسِيَسِكُو إِلَى نِيُويُورُكِ تِسْعَةَ أَيَّامٍ، وَهَذَا يَعْنِي أَنَّهُ أَمَّا فِيلِيَاِسْ فوج عَشَرَةُ أَيَّامٍ كَامِلَةً لِلْعُودَةِ إِلَى لَدُنَّ قَبْلِ اِنْتِهَاءِ الْوَقْتِ الْمُحَدَّدِ، وَلَوْ كَانَتْ هُنَاكَ دَرَّةُ قَلْقٍ تُخَالِجُ نَفْسَ فِيلِيَاِسْ فوج، فَإِنَّ ذَلِكَ لَمْ يَبْدُ عَلَى مَلَامِحِهِ عَلَى الإِطْلَاقِ.

وَبِحُلُولِ الْيَوْمِ التَّاسِعِ، كَانَ فِيلِيَاِسْ فوج قَدْ سَافَرَ حَوْلَ نِصْفِ الْعَالَمِ بِالضَّبْطِ، وَعَلَيْهِ الْآنَ السَّفَرُ حَوْلَ النِّصْفِ الْأَكْرَ، وَلَمْ يَتَبَقَّ أَمَّاَهُ سَوَى ثَمَانِيَّةَ وَعِشْرِينَ يَوْمًا فَقَطْ! فِي هَذِهِ الْأَثْنَاءِ، كَانَ الْمُحَقَّقُ فِيكِسْ قَدْ حَصَلَ أَخِيرًا عَلَى مُذَكَّرَةِ إِلَقاءِ الْقَبِضِ عَلَى فوج، وَالَّتِي كَانَتْ تَنْتَظِرُهُ عِنْدُ وُصُولِهِ إِلَى الْيَابَانِ. وَفِي الْوَاقِعِ، كَانَتِ الْمُذَكَّرَةُ عَلَى مَتْنِ الْبَاخِرَةِ «كَارْنَاتِيك» الَّتِي كَانَ مِنَ الْمُفْتَرِضِ أَنْ يَكُونَ عَلَى مَتَنِهَا. وَبِالطَّبِيعِ، أَصْبَحَتِ الْمُذَكَّرَةُ بِلَا فَائِدَةٍ الْآن؛ إِذْ إِنَّ فِيلِيَاِسْ كَانَ فِي طَرِيقِهِ إِلَى أَمْرِيْكَا، فَإِنَّا لَمْ يَكُنْ فوج فِي قَلْبِ الْأَرْضِيِّ الْبِرِّيْطَانِيِّ، فَإِنَّ فِيكِسْ لَيْسَ لَدِيهِ السُّلْطَةُ لِإِلَقاءِ الْقَبِضِ عَلَيْهِ.

اسْتَشَاطَ فِيكِسْ غَضَبًا: «حَسَنًا، سَتَظْلُمُ هَذِهِ الْمُذَكَّرَةُ فَعَالَةً فِي لَدُنَّ، فَأَنَا عَلَى يَقِينٍ أَنَّ فِيلِيَاِسْ فوج سَيُضْطَرُ لِلْعُودَةِ إِلَى بِلَادِهِ فِي وَقْتِ مَا.»

قَرَرَ فِيكِسْ أَنْ يُلَاحِقَ فِيلِيَاِسَ حَتَّى النَّهَايَةِ، وَلَكِنَّهُ تَقْوَعُ عَلَى نَفْسِهِ فِي كَابِيَنَتِهِ عَلَى مَتْنِ الْبَاخِرَةِ «جِنْرَال جَرَانْت» حَتَّى لَا يَعْلَمُوا بِوُجُودِهِ، كَمَا أَنَّهُ لَمْ يُرِدْ أَنْ يُقَابِلَ بِاسْبَارِتُو وَيُضْطَرَ إِلَى تَبْرِيرِ وُجُودِهِ عَلَى مَتْنِ السَّفِينَةِ.

ولِكِنَّهُ لَمْ يَسْتَطِعِ الْبَقَاءِ بِالدَّاخِلِ طَوَالِ الْوَقْتِ؛ فَفِي أَحَدِ الْأَيَّامِ، شَعَرَ أَنَّهُ بِحَاجَةٍ إِلَى اسْتِنْشَاقِ بَعْضِ الْهَوَاءِ الْمُنْعَشِ. مَا الْخَطَأُ فِي ذَلِكَ؟! وَبِمُجَرَّدِ أَنْ وَطَئَتْ قَدَمَاهُ سَطْحَ السَّفِينَةِ، وَجَدَ بِاسْبَارْتُو الَّذِي اتَّجَهَ إِلَيْهِ مُبَاشِرَةً وَلَكُمْ فِي أَنْفِهِ فَطَرَحَهُ أَرْضًا. وَسَأَلَهُ فِيكِسَ وَهُوَ يُمْسِكُ أَنْفُهُ: «هَلْ أَكْتَفَيْتَ بِهَذَا؟» أَجَابَهُ بِاسْبَارْتُو: «فِي الْوَقْتِ الرَّاهِنِ، نَعَمْ.»

قَالَ فِيكِسَ: «إِذْنُ مِنْ فَضْلِكَ، دَعْنِي أَتَحَدُثُ إِلَيْكَ لِلْحَظَةِ، إِنَّهُ أَمْرٌ يَتَعلَّقُ بِسَيِّدِكَ.» وَاقَّفَ بِاسْبَارْتُو، رَغْمَ أَنَّهُ لَا يَزَالُ لَا يُثْقُبُ بِذَلِكَ الْمُحَقَّقِ، فَوَقَّفَ فِيكِسَ عَلَى قَدَمِيهِ وَدَهَبَ الرَّجُلُانِ وَجَلَسَا معاً عَلَى الْمَقَاعِدِ عَلَى ظَهَرِ السَّفِينَةِ.

قَالَ بِاسْبَارْتُو: «إِذْنُ أَنْتَ تَعْلَمُ الْآنَ أَنَّ سَيِّدِي رَجُلٌ شَرِيفٌ، وَتَخَلَّيْتَ عَنْ تِلْكَ الْفِكْرَةِ الْمُجْنُونَةِ أَنَّهُ لِصُّ الْبَنْكِ، أَلِيَّسْ كَذَلِكَ؟»

قَالَ فِيكِسَ: «بِالْطَّيْعَ لَا.» فَرَفَعَ بِاسْبَارْتُو قَبْضَتَهُ مَرَّةً أُخْرَى وَهُوَ يَهُمُ بِتَوْجِيهِ لَكُمْثَانِيَّةِ؛ فَقَالَ فِيكِسَ «أَنْتَظِرْ! دَعْنِي أَكْمِلُ.» أَنْزَلَ الْخَادِمُ يَدَهُ، فَاسْتَطَرَدَ فِيكِسَ: «أَنَا الْآنُ دَاخِلُ الْلُّغْيَةِ، فَالطَّرِيقَةُ الْوَحِيدَةُ لِلْقُبْضِ عَلَيْهِ هِيَ أَنْ يَكُونَ فِي إِنْجِلِيزْتَرَا، وَالطَّرِيقَةُ الْوَحِيدَةُ لِعَوْدِتَكُمْ إِلَى إِنْجِلِيزْتَرَا هِيَ أَنْ تُكْمِلُوا هَذَا السَّبَّاقَ الْمُجْنُونَ حَوْلَ الْعَالَمِ، فَأَنَا أُدْرِكُ أَنَّنِي لَا أَسْتَطِعُ إِيقَافَهُ؛ لِذَا سَأَفْعُلُ مَا يُوْسِعِي لِلْمُسَاعَدَةِ.»

لَمْ يَنْفُوهُ بِاسْبَارْتُو بِكَلِمَةٍ؛ فَتَابَعَ فِيكِسَ: «هَلْ نَحْنُ أَصْدِقَاءُ؟» - «كَلَّا، لَسْنَا أَصْدِقَاءَ، وَلَكِنْ يُمْكِنُ أَنْ نَكُونَ حُلَفاءَ. وَرَغْمَ ذَلِكَ يَحْبُّ أَنْ أُحَذِّرَكَ بِأَنَّنِي سَوْفَ أَدُقُّ عُنْقَكَ عِنْدَ أَوَّلِ إِشَارَةٍ تَدْلُّ عَلَى أَنَّكَ سَتُكَرِّرُ مَا فَعَلْتَهُ فِي هُونِجْ كُونِجْ!» قَالَ فِيكِسَ: «مُوَافِقُ.» وَكَانَ يُدْرِكُ أَنَّهُ فِي مَوْقِفٍ ضَعْفٍ.

بَعْدَ أَحَدِ عَشَرَ يَوْمًا، رَسَتِ الْبَاحِرَةُ «جِنْرَال جِرَانْت» فِي سانْ فِرَانْسِيسِكُو، وَبِذَلِكَ لَمْ يَكُسِّبْ فِيلِيَّاسَ فوجَ أَوْ يَخْسِرَ أَيِّ يَوْمٍ فِي رِحْلَتِهِ، وَقَدْ دَوَنَ ذَلِكَ فِي دَفْتَرِ يَوْمِيَّاتِهِ.

ذَهَبَ فِيلِيَّاسَ مُبَاشِرًا إِلَى مَحَطةِ الْقِطَارِ لِيَعْرِفَ مَوْعِدَ الْقِطَارِ التَّالِيِّ الْمُتَّجِهِ إِلَى مَدِينَةِ نِيُويُورُكَ، فَوَجَدَ أَنَّ مَوْعِدَهُ فِي السَّادِسَةِ مَسَاءً؛ مِمَّا يَعْنِي أَنَّهُ وَعُودًا يُمْكِنُهُمَا أَنْ يَنَالَا قِسْطًا مِنَ الرَّاحَةِ فِي فُندُقِ «إِنْتِرْنَاشُونَالْ هُوتِيلِ» لِبِقِيَّةِ الْيَوْمِ.

وَبَيْنَمَا اتَّجَهَ بِاسْبَارْتُو لِقَضَاءِ بَعْضِ الْمَهَامَ، تَنَاوَلَ فِيلِيَّاسَ وَعُودًا فَطُورًا شَهِيًّا، ثُمَّ ذَهَبَ فِيلِيَّاسَ - مِثْلَمَا فَعَلَ فِي كُلِّ مِيَاءٍ رَسَابِهِ - لِيَحْتَمِ جَوَازَ سَفَرِهِ، وَلِكِنَّ هَذِهِ الْمَرَّةَ

لَمْ يَكُنْ هُنَاكَ أَيْ أَحْدَاثٍ مُؤْسِفَةٍ، وَاسْتَقَلَّ الْجَمِيعُ الْقِطَارُ الْمُتَجَهُ إِلَى نِيُو يُورُكَ — وَمَعَهُمْ فِيکِسٌ — فِي تَمَامِ السَّاعَةِ السَّادِسَةِ مِنْ ذَلِكَ الْمَسَاءِ.

عَلَى مَتْنِ الْقِطَارِ، اسْتَغْرَقَ الْمُسَافِرُونَ الْمُتَعَبُونَ فِي النَّوْمِ؛ فَعِنْدَمَا اسْتَقَلُوا الْقِطَارَ كَانَ الظَّلَامُ قَدْ حَلَّ، وَمِنْ ثُمَّ لَمْ يَكُنْ هُنَاكَ الْكَثِيرُ لِيُشَاهِدُوهُ مِنَ النَّافِذَةِ. شَقَ الْقِطَارُ طَرِيقَهُ مُسْرِعاً عَبْرَ كَالِيفُورِنيَا، وَمُرْوِراً بِسَاكِرَامِنْتُو، ثُمَّ بَدَا يَعْبُرُ خَلَالَ جِبَالِ سِيرِانِيفَادَا. وَكَانَتْ قُضْبَانُ السَّكَّةِ الْحَدِيدِيَّةِ تَلْتَفُ عَبْرَ الْمَمَرَّاتِ، وَالدُّخَانُ الَّذِي يَتَصَاعِدُ مِنَ الْقِطَارِ يَتَطاَبِرُ بَيْنَ الْأَشْجَارِ الْضَّحْمَةِ.

وَفِي صَبَاحِ الْيَوْمِ التَّالِي، وَبَعْدَ تَنَاؤلِ الْإِفْطَارِ، كَانَ الْمُسَافِرُونَ الْأَرْبَعَةُ يُحَدِّقُونَ خَارِجَ النَّافِذَةِ فِي الْمَنَاظِرِ الطَّبِيعِيَّةِ الْخَلَابِيَّةِ أَمَامَهُمْ، حَيْثُ كَانَتِ الْجِبَالُ تَصْطَفُ فِي الْأَفْقَعِ فِيمَا وَرَاءِ الْمُرْوِجِ. وَلَمْ يَمُرْ وَقْتٌ طَوِيلٌ حَتَّى عَادَ فِيلِيَاسُ يُدُونُ مُلَاحَظَاتِهِ فِي دَفَّتِرِ الْيَوْمِيَّاتِ، بِهُدُوئِهِ الْمُعْتَادِ طَوَالَ الرَّحْلَةِ. وَقَبْلِ الْغَدَاءِ مُبَاشِرَةً، دَخَلَ قَطِيعُ مِنَ الْجَامِوسِ عَلَى مَسَارِ حَطَّ السَّكَّةِ الْحَدِيدِيَّةِ؛ فَنَوَقَفَ الْقِطَارُ وَانتَظَرَ السَّائِقُ بِصَبْرٍ حَتَّى عَبْرَ الْقَطِيعِ، لَكِنَّ باسِبَارِتُو لَمْ يَسْتَطِعِ الْجُلوسَ سَاكِنًا، فَأَخَذَ يَقْطِعُ عَرَبَاتِ الْقِطَارِ جِيَّةً وَذَهَابًا وَهُوَ يَسْأَلُ لِمَاذا لَا يَخْرُجُ أَحَدٌ لِبَعْدِ ذَلِكَ الْقَطِيعِ!

وَبِحُلُولِ مَسَاءِ الْيَوْمِ التَّالِي، كَانُوا قَدْ عَبَرُوا إِلَى وَلَيْةِ يُوتَا، وَكَانُوا عَلَى مَقْرَبَةِ مِدِينَةِ سُولْتُ لِيكَ سِيَتِي الْكُبْرَى، حَيْثُ كَانَتْ قَبَائِلُ الْمُوْرُمُونَ تَسْتَوْطِنُ الْمِنْطَقَةَ.

فِي صَبَاحِ الْيَوْمِ التَّالِي، كَانَ الطَّقْسُ فِي غَایَةِ الْبُرُودَةِ عِنْدَمَا حَطَّا باسِبَارِتُو إِلَى الْخَارِجِ لِاستِشَاقِ بَعْضِ الْهَوَاءِ الْمُنْعِشِ، وَلَمْ يَنْوِقَفْ تَسَاقُطُ الثَّلَوِجِ، وَلَكِنَّ كَانَتِ الشَّمْسُ سَاطِعَةً كَذَلِكَ. أَحَدُ الْقِطَارُ يَشْقُ طَرِيقَهُ بِسُرْعَةٍ بَيْنَ الْمَزَارِعِ وَالْحُقُولِ الَّتِي تَنْتَمُ فِيهَا مَحَاصِيلُ الْقَمْحِ وَالدُّرَّةِ فِي الْمَوَاسِيمِ الْمُنْاسِبَةِ، وَكَانَتِ الْأَرْضُ فِي ذَلِكَ الْوَقْتِ مُغَطَّاةً بِطَبَقَةٍ رَقِيقَةٍ مِنَ الثَّلَوِجِ. مَدَّ باسِبَارِتُو ذِرَاعَيْهِ لِأَعْلَى فَوْقَ رَأْسِهِ وَفَكَرَ: «إِنَّهُ حَقًا بَلْدُ مُثِيرٌ لِلْأَهْتمَامِ..»

وَفِي تِلْكَ الظَّهِيرَةِ، تَوَقَّفَ الْقِطَارُ فِي مِدِينَةِ أُوْجَدَنِ، وَكَانَ مِنَ الْمُقْرَرِ أَنْ يُغَادِرَ مُجَدَّدًا فِي غُضُونِ سِتٍّ سَاعَاتٍ؛ مِمَّا أَتَاهُ لِلْمُسَافِرِيْنَ الْفُرْصَةَ لِاسْتِكْشَافِ مِدِينَةِ سُولْتُ لِيكَ

سيتي، وكانت المدينة مُحاطة بسور بُني في عام ١٨٥٣ من الطين والحصى. تَجَوَّلَ المُسَايِرُونَ في الشوارع، وتأملوا المتنازل المُربعة في المدينة، ثُمَّ عادُوا إلى القطار. وَبِمُجْرَدِ أَنْ انطَّلَقَتْ صَافِرَةُ القِطَارِ وَبَدَأَتِ الْعَجَلَاتُ فِي التَّحْرُكِ، نَظَرَ باسبارتو خارج النافذة فرأى رجلاً طويلاً يَرْتدي مِعْطَفًا طَوِيلًا دَاكِنَ اللَّوْنِ يَجْرِي عَلَى الرَّصِيفِ. فَصَاحَ باسبارتو: «تَوَقَّفْ! تَوَقَّفْ!» وَبِالْتَّبَعِ لَمْ يَتَوَقَّفِ القِطَارُ، فَرَكَضَ الرَّجُلُ أَسْرَعَ فَأَسْرَعَ حَتَّى قَفَرَ أَخِيرًا عَلَى الْمِنَصَّةِ الْخَلْفِيَّةِ لِلقطَارِ، فَابْتَسَمَ باسبارتو وَفَكَرَ فِي نَفْسِهِ: «رُبَّما يَقُومُ ذَلِكَ الرَّجُلُ أَيْضًا بِجُولَةٍ حَوْلَ الْعَالَمِ!»

اتَّجَهَ الْقِطَارُ شَمَالًا مِنْ أَوْجَدِنِ إِلَى جِبَالِ روكي، وَكَانَ باسبارتو يَقْطَعُ الْقِطَارَ ذَهَابًا وإِيَابًا؛ إِذْ إِنَّهُ كَانَ يَجِدُ صُعُوبَةً فِي الْبَقَاءِ هَادِئًا فِي مَكَانِهِ، وَكَذَلِكَ كَانَ فيكس لا يُحبُ السَّفَرَ عَبْرَ الْجِبَالِ، فَلَقَدْ أَخْفَهَ ذَلِكَ قَلِيلًا. أَمَّا فيلياس، فَكَانَ بِالْتَّبَعِ هَادِئًا تَامًا كَطَبِيعَتِهِ.

وَكَانَتِ التُّلُوجُ لَا تَرَالُ تَنْهَمُرُ مِنَ السَّمَاءِ، فَتَسَاءَلَ باسبارتو فِي نَفْسِهِ: «لِمَاذَا لَمْ يَقُمْ سَيِّدِي بِهَذِهِ الْجَوْلَةِ فِي الصَّيْفِ، وَبِدَا لَمْ نَكُنْ لِنَوَاجِهِ مُشْكِلَةَ الطَّقْسِ السَّيِّئِ؟» ثُمَّ نَظَرَ خارج النافذة وَتَأَمَّلَ السَّمَاءَ الْغَارِقةَ فِي الْغُيُومِ.

قَالَ فيكس: «إِنَّ السَّاعَاتِ تَمْضِي كَالدَّهْرِ عَلَى مَتْنِ الْقِطَارِ.»

قَالَ فيلياس: «نَعَمْ، وَلَكِنَّهَا تَمْضِي.»

فَقَالَ فيكس مُقْتَرِحًا: «يُمْكِنُنَا أَنْ تَلْعَبَ بَعْضَ الْجَوَلَاتِ مِنَ الْوَرَقِ.»

فَأَجَابَ فيلياس: «فِكْرَةُ رَائِعَةٌ! لِتَلْعَبَ بِرِيدِجِ.»

وَهَكَذا أَمْضَى الجِمِيعُ سَاعَاتٍ طَوِيلَةً عَلَى هَذَا الْمِنْوَالِ؛ يَلْعَبُونَ الْوَرَقَ وَيَتَحَدَّثُونَ إِلَيْهِمُ الْبَعِضُ وَيَتَنَاهُونَ الإِفْطَارَ أَوِ الْغَدَاءَ أَوِ الْعَشَاءَ. وَكَانَ فيلياس مُحِقًا؛ فَلَقَدْ مَرَ الْوَقْتُ.

فَجَاءَ، انطَّلَقَتْ صَافِرَةُ مُدَوِّيَّةٍ وَتَوَقَّفَ الْقِطَارُ تَامًا.

قَالَ فيلياس: «رَجَاءً، اذْهَبْ وَانظُرْ مَاذَا حَدَثَ يَا باسبارتو.»

هُرَعَ بِاسْبَارْتُو خَارِجًا مِنَ الْعَرَبَةِ، وَكَانَ هُنَاكَ مَجْمُوعَةً أُخْرَى مِنَ الرُّكَابِ قَدْ تَجْمَهُرُوا. لَقَدْ أَوْقَفَ ضَوْءُ أَحْمَرٍ حَرَكَةَ الْقِطَارِ قَبْلَ بُلُوغِهِ أَحَدَ الْجُسُورِ، وَكَانَ سَائِقُ الْقِطَارِ وَالْمُحَصِّلُ يَتَحَدَّثَانِ مَعَ مَسْتُولِ الإِشَارَةِ عَنْ سَبِّ إِيقَافِ الْقِطَارِ.

فَقَالَ لَهُمَا: «إِنَّ الْجِسْرَ خَارِجَ الْخَدْمَةِ وَمُسْتَحِيلٌ عَبُورُهُ».

وَهُنَا قَالَ الرَّجُلُ الَّذِي يَرْتَدِي الْمِعْطَافَ الْأَسْوَدَ الطَّوِيلِ وَيُدْعَى كُولُونِيلْ بِرُوكْتُور: «إِنَّا لَنْ نَظَلَ هُنَا، أَلَيْسَ كَذَلِكَ؟ أَسَوْفَ نَقْبَعُ بَيْنَ هَذِهِ التَّلُوِّجَيْنِ؟»

قَالَ الْمُحَصِّلُ: «قَطْعًا لَا، لَقَدْ أَرْسَلْنَا بِرْقِيَّةً لِقطَارٍ آخَرَ لِمُلَاقَاتِنَا فِي مَدِينَةِ مِيدِيسِين باوِ فِي غُضُونِ سِتِّ سَاعَاتٍ».

صَاحَ بِاسْبَارْتُو: «سِتِّ سَاعَاتٍ! سِتِّ سَاعَاتٍ!»

تَابَعَ الْمُحَصِّلُ: «نَعَمْ، سَنَسْتَغْرِقُ هَذَا الْوَقْتَ لِلْوُصُولِ إِلَى هُنَاكَ سَيِّرًا عَلَى الْأَقْدَامِ».

فَقَالَ بِاسْبَارْتُو: «سَيِّرًا عَلَى الْأَقْدَامِ! كَمْ تَبْعُدُ تِلْكَ الْمَدِينَةِ؟»

فَقَالَ كُولُونِيلْ بِرُوكْتُور: «إِنَّهَا عَلَى بُعْدِ مِيلٍ وَاحِدٍ مِنْ هُنَا، لِمَاذَا سَنَسْتَغْرِقُ سِتِّ سَاعَاتٍ لِلْوُصُولِ إِلَى هُنَاكَ؟»

قَالَ الْمُحَصِّلُ: «حَسَنًا، إِنَّهَا عَلَى الْجَانِبِ الْآخِرِ مِنَ النَّهَرِ».

سَأَلَ الْكُولُونِيل: «أَلَا يُمْكِنُنَا عَبُورُ النَّهَرِ عَلَى مَنْ قَارِبِ؟»

أَجَابَ الْمُحَصِّلُ: «هَذَا مُسْتَحِيلٌ، فَالنَّهَرُ يَفِيضُ بِسَبِّ الْأَمْطَارِ، فَيَجِبُ عَلَيْنَا السَّيِّرُ عَشَرَةً أَمْيَالًا شَمَالًا حَتَّى يُمْكِنُنَا الْعَبُورُ».

وَكَانَ الرُّكَابُ جَمِيعًا مُنْزَعِجِينَ مِنْ فِكْرَةِ السَّيِّرِ لِمَسَافَةِ عَشَرَةِ أَمْيَالٍ فِي الْأَمْطَارِ وَالْبَرْدِ وَالْتَّلُوِّجِ. صَمَتَ الْكُولُونِيل لِدِقْيَقَةٍ، ثُمَّ تَحَدَّثَ بِصَوْتٍ عَالٍ مُخَاطِبًا الْجَمِيعَ الَّذِينَ كَانُوا مَشْغُولِينَ فِي تَدَمِّرِهِمْ.

قَالَ: «اَنْتُظِرُوْرُوا، اَعْتَقِدُ أَنَّ هُنَاكَ طَرِيقَةً لِعَبُورِ الْجِسْرِ».

قَالَ الْمُحَصِّلُ: «مَاذَا تَعْنِي؟»

أَجَابَ الْكُولُونِيل: «أَعْتَقِدُ أَنَّ لَدِينَا فُرْصَةً فِي عَبُورِ الْجِسْرِ إِذَا جَعَلْنَا الْقِطَارَ يَسِيرُ بِأَقْصَى سُرْعَتِهِ؛ فَإِذَا كُنَّا نَسِيرُ بِالسُّرْعَةِ الْقُصُوِّيِّ، فَقَدْ يَكُونُ لَدِينَا فُرْصَةً لِلْعَبُورِ قَبْلَ أَنْ يَنْهَا الْجِسْرُ تَمَامًا».

كَانَ الرُّكَابُ وَالسَّائِقُ مُتَحَمِّسِينَ لِلتَّجْرِبَةِ، وَكَانُوا عَلَى اقْتِنَاعٍ بِنَجَاحِ الْخُطَّةِ وَأَنَّهُمْ سَيَتَمَكَّنُونَ مِنَ الْعُبُورِ، حَتَّى مَنْ كَانَ مِنْهُمْ قَلِيقاً بِشَأنِ انْهِيَارِ الْجِبْرِ قَبْلَ أَنْ يَغْبُرُوا لَمْ يَتَفَوَّهْ بِشَيْءٍ، وَكَانَ بِاسْبَارِتُو خَائِفًا لِكُنْهِ لَمْ يُعَبِّرْ عَنْ ذَلِكَ الْخُوفِ. عَادَ الْجَمِيعُ عَلَى مَتْنِ الْقِطَارِ، وَسُرْعَانَ مَا بَدَأَ الْقِطَارُ يَتَحَرَّكُ مَرَّةً أُخْرَى.

انْطَلَقْتُ صَافِرَةُ الْقِطَارِ وَبَدَأْ يَنْطَلِقُ، ثُمَّ أَسْرَعَ أَكْثَرُ وَأَكْثَر؛ فِي الْوَاقِعِ، كَانَ يَسِيرُ بِسُرْعَةِ جَامِحةٍ حَتَّى بَدَا كَمَا لَوْ أَنَّهُ لَا يَسِيرُ عَلَى قُضْبَانٍ مُطْلَقاً! ثُمَّ عَبَرَ الْجِبْرِ! لَمْ تَسْتُغْرِقْ تُلْكَ الرَّحْلَةَ الْمَصِيرِيَّةَ سَوَى ثَانِيَّةَ وَاحِدَةٍ وَالْقِطَارُ يَطِيرُ مِنْ ضَفَّةِ النَّهَرِ إِلَى الْأُخْرَى، وَبَعْدَ نَوْانَ مَعْدُودَةٍ مِنْ مُرْوِرِ الْقِطَارِ بِأكْمَلِهِ، تَهَاوَى الْجِبْرُ إِلَى الْمِيَاهِ أَسْفَلَهُ مُحْدِثًا ضَجَّةً شَدِيدَةً.

الفصل الرابع عشر

فِيلِيَاْس وَبَاسِبَارْتُو يُواجِهَانِ خَارِجِينَ عَلَى الْقَانُونِ عَلَى السَّكِكِ الْحَدِيدِيَّةِ

انطلق القطار متجازئاً مدينتاً فورت ساندرز، وعبر شايآن باس إلى إيفنر باس؛ حيث صعد فِيلِيَاْس وَبَاسِبَارْتُو إلى أعلى ارتفاع وصلاً إليه مذنباً انطلاقهما في هذه الرحلة المذهلة حول العالم. استمر القطار في المضي قدماً وعبر أراضي وايمينج وكولورادو إلى نبراسكا؛ وبينما كان القطار يشق طريقه، أمضى المسافرون الأربع وقتهم في لعب الورق.

وبينما كان القطار يمضي في طريقه إلى أومaha، دوى صوت اصطدام هائل. توقف القطار تماماً على القطبان، ونظر جميع الركاب في العربة إلى الخارج، ولكنهم لم يستطعوا رؤية شيء. فجأة، عاد القطار ليتحرك مجدداً. سأل باسبارتُو: «ماذا حدث بحق السماء؟» ثم التفت إلى فِيلِيَاْس وقال: «سأذهب لأنفق الأمل يا سيدِي».

خرج باسبارتُو من العربة وسار نحو مقدمة القطار، وكان عدداً من الركاب قد خرج كذلك ومن بينهم كولونيل بروكتور، وكانوا يسمعون ضجيجاً من أحد جانبي القطار، ثم بدأ الركاب في الصراخ.

و داخل العربة، شُجب وجُه عوداً عندما سمعت الصياح والضجيج بالخارج، وسألت: «ما الذي حدث في رأيك؟»

أجاب المحقق فيكس: «أراهن أن هناك خارجين عن القانون قد هاجموا القطار!»

وَضَعَ فِيلِيَاْسُ أُورَاقَهُ بِهُدُوِّ وَقَالَ: «فِي هَذِهِ الْحَالَةِ، قَدْ تَكُونُ أَمَامَنَا مَعْرَكَةً!» ثُمَّ اسْتَطَرَّدَ عِنْدَمَا رَأَى الصَّدَمَةَ عَلَى وَجْهِ عَوْدًا: «وَلَكِنْ دَعْوَنَا نَأْمُلُ الْأَلَّا تَصِلَ الْأُمُورُ لِهَذَا الْحَدَّ. عَلَيْكِ الْبَقَاءُ هُنَا فِي مَأْمُنِ يَا عَوْدًا، أَغْلِقِي ذَلِكَ الْبَابَ بِإِحْكَامٍ وَلَا تَدْعِي أَحَدًا يَدْخُلُ!» وَكَمَا اتَّضَحَ بَعْدَ ذَلِكَ، فَقَدْ هَاجَمَتِ عِصَابَةُ قَوَامِهَا مَا يَقُرُّبُ مِنْ مائَةَ رَجُلِ الْقِطَارِ، وَقَدْ قَفَزَ الْعَدِيدُ مِنْهُمْ إِلَى الدَّاخِلِ وَالْقِطَارِ يَتَحَرَّكُ! وَكَانُوا مُثْمِنِينَ وَمُدَجَّجِينَ بِالسَّلاحِ، وَكَانُوا قَدْ دَاهَمُوا عَرَبَةَ سَائِقِ الْقِطَارِ وَأَفْقَدُوهُ الْوَعْيَ، وَأَحَدُهُمْ يَتَنَقَّلُونَ مِنْ عَرَبَةٍ لِأُخْرَى وَهُمْ يَسْلُبُونَ كُلَّ مَا يُمْكِنُهُمْ مِنَ الْمُسَافِرِينَ الْمَسَاكِينِ.

سَارَ الْقِطَارُ أَسْرَعَ فَأَسْرَعَ بِدُونِ سَائِقٍ لِلتَّحْكُمِ فِيهِ، وَإِذَا لَمْ يَتَوَقَّفِ الْقِطَارُ فَحَتَّمَا سَيَصْطَدِمُ بِشَيْءٍ وَيَتَحَطَّمُ. عِنْدَمَا اكْتَشَفَ باسِبَارْتُو مَا يَحْدُثُ، عَادَ هُوَ وَالْكُولُونِيْلِ بِرُوكْتُورَ سَرِيعًا لِلْمُسَاعَدَةِ فِي الْمَعْرَكَةِ، وَكَانَ هُنَاكَ الْعَدِيدُ مِنَ الرِّجَالِ عَلَى مَتْنِ الْقِطَارِ يَتَعَارَكُونَ بِالْفِعْلِ مَعَ قَاطِعِي الْطَّرِيقِ، وَاشْتَبَكَ باسِبَارْتُو فِي الْقِتَالِ فَوْرًا بِتَسْدِيدِ الْأَكْمَاتِ وَالرَّكَالَاتِ مُسْتَخْدِمًا كُلَّ قُدْرَاتِهِ الْبَهْلَوَانِيَّةَ. وَكَانَ الْكُولُونِيْلِ بِرُوكْتُورَ يَتَمَّتُ بِقَبْضَةٍ قَوِيَّةٍ، وَقَدْ صَرَعَ عَدَدًا مِنْ قَاطِعِي الْطَّرِيقِ بِيَدِيهِ الْعَارِيَيْنَ!

وَفِي خَضْمِ الْمَعْرَكَةِ، وَوَسْطَ تَطَابِرِ الْأَذْرُعِ وَالْقَبَضَاتِ هُنَا وَهُنَاكَ، لَاحَظَ باسِبَارْتُو ثَلَاثَةِ مِنْ قُطَّاعِ الْطُّرُقِ يُحِيطُونَ بِالْمُحَاصِلِ الْمُسْكِينِ، وَصَرَخَ الْمُحَاصِلُ وَهُوَ يَسْقُطُ أَرْضًا: «إِذَا لَمْ يَتَوَقَّفِ الْقِطَارُ عِنْدَ مَحَطَّةِ «فُورَتِ كِيَارَنِي»، فَسُوفَ نَهْلُكُ جَمِيعًا! سَيَتَحَطَّمُ الْقِطَارُ! سَيَتَحَطَّمُ الْقِطَارُ!»

فِي ذَلِكَ الْوَقْتِ، كَانَ فِيلِيَاْسُ قَدْ انْضَمَ إِلَى الْمَعْرَكَةِ؛ بَلْ وَكَانَ بِجَانِبِ الْمُحَاصِلِ، فَسَدَّدَ لِكُمْمَةَ قَوِيَّةً لِأَنْفِ أَحَدِ قُطَّاعِ الْطَّرِيقِ وَقَالَ: «سَيَقِفُ إِنَّ! وَاتَّجَهَ مُسْرِعًا إِلَى مُقْدَمَةِ الْقِطَارِ، وَلَكِنَّ باسِبَارْتُو أَوْفَهُ وَقَالَ: «أُبْقِي أَنْتَ يَا سَيِّيْلِي! سُوفَ أَذْهَبُ أَنَا». لَمْ يَكُنْ لَدِي فِيلِيَاْسُ وَقْتٌ لِيُوقَفُهُ، حَيْثُ قَفَزَ أَحَدُ أَفْرَادِ الْعِصَابَةِ عَلَى ظَهِيرِهِ وَبَدَا يَجْذُبُهُ أَرْضًا.

انْزَلَقَ باسِبَارْتُو مِنَ الْعَرَبَةِ وَرَحَفَ تَحْتَ الْقِطَارِ الْمُتَحَرِّكِ، وَبِالْاعْتِمَادِ عَلَى خُبْرِتِهِ كَبْهَلَوَانِ، تَعَلَّقَ بِالسَّلَاسِلِ وَسَحَبَ نَفْسَهُ بِاسْتِخْدَامِ الْفَرَازِمِ، وَرَحَفَ مِنْ عَرَبَةٍ لِأُخْرَى حَتَّى وَصَلَ إِلَى عَرَبَةِ الْقِيَادَةِ.

فيلياس وباسبارتو يواجهان خارجين على القانون ...

وبكل ما يملك من قوة، تمكّن باسبارتون من سحب سلسلة الأمان من عربة القيادة، ورأى العربة وهي تنفصل عن باقي القطار، ثم بذل ما في وسعه لسحب الفرامل. وأخيراً، توقفت باقي عربات القطار تماماً أمام محطة فورت كيرني، بينما انطلقت عربة القيادة وحدها.

كان الجنود في الحصن قد سمعوا الشغب، وكأنوا على أبهة الاستعداد لمواجهة قطاع الطريق، ولكن عندما رأى أفراد العصابة الجنود وهم مصطفون ومُستعدون بأسلحتهم لإطلاق النار، تركوا القطار، وقفزوا على خيولهم، ولاذوا بالفرار. وبعد أن أصبح الموقف أمراً، غادر عوداً وفيلياس وفيكس القطار ووقفوا على الرصيف، ثم صاحت عوداً: «أين باسبارتون؟ إنه ليس هنا!» حاول فيلياس تهدئتها، ولكنه علم فيما كانت هي وفيكس يفكران؛ لقد اخترف العصابة باسبارتون! وبذلت عودا في البكاء. إذا كان خالِم فيلياس سجينًا لدى الخارجيين على القانون، فعليه إنقاذه، ولم يكن هناك خيار آخر.

فقال: «لا تقلق يا عودا، سأعثر على باسبارتون حياً أو ميتاً». بكت عودا وهي تُعطي وجهها بيديها: «يا إلهي! فيلياس! أصرّ: «حياً! إذا ذهبنا فوراً. استدار فيلياس ورأى قائداً للحصن يقف على مقربة منه، فنادى عليه: «أيها القائد!» استدار القائد نحوه، فقال فيلياس: «لقد اخترف قاطعوا الطريق خارمي يا سيدى، وأعتقد أنهم قد اخترفوا بعض الركاب كذلك؛ يجب مطاردتهم!» قال القائد: «هذه مخاطرة شديدة يا سيدى، فربما يكونون قد عادوا بهم إلى أركناس، وأنا لا أستطيع أن أترك الحصن بدون حماية.» قال فيلياس: «حسناً، إذن سأذهب بمفردك.»

صاح فيكس: «ممفردك! هل ستذهب لمطاردة قاطعي الطريق بمفردك؟» قال القائد: «كلا، لن أسمح بذلك، سأعطيك ثلاثة متطوعاً ليذهبوا معك.» ثم استدار إلى قواته وقال: «أيها الرجال! أحتاج إلى ثلاثة متطوعاً منكم للذهاب مع هذا الرجل الشجاع لإنقاذ الركاب الذين اخترفوا قاطعوا الطريق، من سيذهب معه؟»

تَقْدَمَتِ السَّرِيَّةُ بِالْكَامِلِ مُتَطْوِعَةً، لَكِنَّ الْقَائِدَ اخْتَارَ ثَلَاثَيْنِ مِنْ أَفْضَلِ رِجَالِهِ، وَسُرْعَانَ مَا كَانُوا مُسْتَعْدِينَ لِلِّانْطَلَاقِ.
أَصَرَّ فِيلِيَّاسُ: «سَأَذْهَبُ مَعَكَ».

أَجَابَ فِيلِيَّاسُ: «كَلَّا، يَجِبُ أَنْ تَظَلَّ مَعَ الْأَنْسَةِ عُودَا، تَحْسُبَا لِأَيِّ شَيْءٍ يَحْدُثُ لِي..»
نَحْنُ فِيلِيَّاسُ مَشَايِعُهُ تِجَاهَ فِيلِيَّاسَ جَانِبًا، وَقَالَ: «حَسَنًا، سَأَبْقَى!» وَالْتَّفَتَ إِلَى عُودَا.
— لَا تَقْلِيقِي يَا آنِسَةُ، مَعَنَا هُنَا أَيْضًا الْكُولُونِيَّلِ بِرُوكْتُورُونَ. وَكَانَ الْكُولُونِيَّلِ بِرُوكْتُورُونَ
يَجْلِسُ لِلِّاعْتِنَاءِ بِجُرْحٍ فِي ذِرَاعِهِ، وَعِنْدَمَا وَجَدْهُمْ يَنْتَظِرُونَ إِلَيْهِ، لَوَّحَ لَهُمْ بِالْحُصْرِ بِيَدِهِ
السَّلِيمَةَ.

ضَغَطَ فِيلِيَّاسُ عَلَى يَدِ عُودَا بِرِفْقٍ وَتَرَكَ لَهَا حَقِيَّةَ الْقُمَاشِيَّةِ لِتَعْتَنِي بِهَا، ثُمَّ انْضَمَ
إِلَى الْجُنُودِ الَّذِينَ عَثَرُوا لَهُ عَلَى حِصَانٍ إِصَافِيٍّ لِيَمْتَطِيهِ. وَقَبْلَ الْمُغَادَرَةِ، قَالَ فِيلِيَّاسُ
لِلْجُنُودِ: «يَا أَصْدِيقَائِي، أَرِيدُ اسْتِعَادَةَ رِفَاقِنَا الْمُسَافِرِينَ عَلَى قِبِيلِ الْحَيَاةِ. وَكَيْ تَكُونَ هَذِهِ
الْمُهَمَّةُ تَسْتَحِقُ الْوَقْتَ وَالْعَنَاءَ، سَوْفَ أَقْسُمُ بَيْنَكُمْ مَبْلَغَ خَمْسَةِ آلَافِ دُولَارٍ بَعْدَ إِنْقَادِ
هُؤُلَاءِ السُّجَنَاءِ». ثُمَّ انْطَلَقُوا!

وَبَيْنَمَا كَانَتْ عُودَا تَنْتَظِرُ بِصَبَرٍ رُجُوعَ فِيلِيَّاسِ وَالْجُنُودِ دَاخِلَ الْمَحَاطَةِ، كَانَ الْمُحَقِّقُ
فِيلِيَّاسُ يَقْطَعُ الْمَحَاطَةَ جِيئَةً وَذَهَابًا. وَفَجَأَةً، دَوَّى صَوتُ صَافِرَةِ عَالِيَّةٍ مِنْ مَسَافَةِ بَيْعِدَةِ،
مَاذَا يُمْكِنُ أَنْ يَكُونَ؟ وَبِدَا جَسْمُ مُظْلِمٍ يَظْهُرُ مِنْ بَيْنِ الثُّلُوجِ، إِنَّهَا الْقَاطَرَةُ! كَانَ سَائِقُ
الْقِطَارِ قَدِ اسْتَعَادَ وَعِيَّهُ وَاکْتَشَفَ مَا حَدَثَ، فَقَادَ الْعَرَبَةَ عَائِدًا بِهَا إِلَى حِصْنِ فورَتِ
كِيرِني.

شَعَرَ الرُّكَابُ بِالسَّعَادَةِ الْغَامِرَةِ لِرُؤْيَةِ عَرَبَةِ الْقِيَادَةِ، فَالآنَ يُمْكِنُهُمْ مُوَاصِلَةُ طَرِيقِهِمْ
إِلَى أوْمَاهَا.

انْدَفَعَتْ عُودَا مِنَ الْمَحَاطَةِ وَسَأَلَتِ الْمُحَصِّلَ: «هَلْ سَيَتَحَرَّكُ الْقِطَارُ الْآنَ؟»
أَجَابَ: «فِي التَّوْ وَاللَّحْظَةِ يَا سَيِّدَتِي».
قَالَتْ: «وَلَكِنَّ السُّجَنَاءَ لَمْ يَعُدُوا بَعْدُ، يَجِبُ أَنْ نَنْتَظِرَهُمْ». — أَخْشَى أَنَّ ذَلِكَ لَيْسَ مُمْكِنًا، يَجِبُ أَنْ تَتَحرَّكَ فَورًا؛ فَلَقَدْ تَأَخَّرْنَا بِالْفِعْلِ ثَلَاثَ
سَاعَاتٍ عَنْ مَوْعِدِنَا».

فيلياس وباسبارتو يواجهان خارجين على القانون ...

قالت: «لن أذهب، وأنت أيضاً يجب ألا تذهب، هذا مُخِزٌ».

قال: «يُؤسفني أنك تشعرين بهذا يا سيدتي، ولكن معنا ركاباً آخرين يجب أن نفكّر بِشأنِهم أيضًا».

كان الركاب الآخرون - بعضاً مصاباً والبعض الآخر معاذق - قد صعدوا على متن القطار وعادوا إلى عرباتهم. ودعت عودا الكولونيل الذي قد قرر مواصلة رحلته، وشكّرته لـما قدمه من مساعدة في مواجهة قاطيعي الطريق.

صعد المحقق فيكس أيضاً على متن القطار، ولكن في آخر لحظة قرر البقاء مع عودا، كما وعده. تصاعد البخار من مقدم القطار وهو يسير مبعداً، وكانت اللوحة لا تزال تنهمر من السماء.

حلَّ المساء، وكان السجناء لم يأتوا بعد، وكانت عودا تتمشى ببطول الرصيف بينما جلس فيكس ساكناً قدر المستطاع، ومع عروبة الشمس، اشتدت بروءة الطقس بشدة. ولكن كان خيال عودا قد سبّح بعيداً وهى تفكّر فيما حدث لفيلياس وباسبارتو؟ وفي الفجر، سمع دوي طلاق ناري أطلق كإشارة من على بعد، واندفع عودا إلى الرصيف، ووقف فيكس إلى جانبه. إنّهما في طريق عودتهما! فيلياس وباسبارتو عادا سالمين! عند عودتهم إلى المحطة، أعطى فيلياس المكافأة للجندو البواسل الذين ساعدوه، في حين نظر باسبارتو حوله بحثاً عن القطار؛ فقد كانت رحلة سيده أكثر ما يشغل باله.

فَسَأَلَ: «أين القطار؟»

قالت عودا: «لقد رحل، غادر بالآمس بدوننا».

صاح باسبارتو: «لا يمكن! متى سيصل القطار التالي؟»

أجبت: «ليس قبل هذا المساء».

قال فيلياس فوج بهدوء: «حسناً».

كان باسبارتو غاضباً بشدة، فالمرة كففت سيده الرهان!

فَسَأَلَ: «ماذا سنفعل الآن؟»

لم يتقوه أحد بكلمة، ولم يكن أيٌ منهم يدرك ماذَا يمكن أن يفعلوا، فلَا يمكنهم انتظار القطار، ولكن هل هناك حل آخر؟

وَعَلَى مَضِيْنِ، تَحَدَّثَ الْمُحَقَّقُ فِيْكِسْ، رَغْمَ كُرْهِهِ لِهَذَا؛ فَلَقْدْ وَعَدَ بِمُسَاعَدَةِ باسْبَارِتُو لِكِيْ يَظْلَمُ فِي الْمَسَارِ الصَّحِيحِ، كَمَا أَنَّهُ كُلَّمَا كَانَتْ عُوْدَتُهُمْ إِلَى إِنْجِلِتَرَا أَسْرَعَ، كَانَ إِلَقَاءُ الْقُبْصِ عَلَيْهِ أَسْرَعَ؛ فَقَالَ فِيْكِسْ: «قَدْ يَكُونُ هُنَاكَ حَلُّ!» نَظَرَ الْجَمِيعُ إِلَيْهِ، «لَيْلَةَ أَمْسِ، أَخْبَرَنِي رَجُلٌ أَنَّ هُنَاكَ مِرْلَاجَةً بِشَرَاعٍ يُمْكِنُ أَنْ تُوَصَّلَنَا إِلَى أَوْمَاهَا، وَمِنْ هُنَاكَ يُمْكِنُنَا أَنْ تَلْحَقَ بِالْقِطَارِ الْمُتَجَهِّإِلَى نِيُويُورِكَ».»

فَقَالَ باسْبَارِتُو مُتَعَجِّبًا: «إِذْنَ لَأَ يَزَالُ هُنَاكَ أَمْلًا!»
قَالَ فِيلِيَاْس: «لِنَرَ مَاذَا سَيَقُولُ لَنَا الرَّجُلُ صَاحِبُ الْمِرْلَاجَةِ الْغَرِيبِيةِ.»

كَانَ الرَّجُلُ الَّذِي يَمْلِكُ الْمِرْلَاجَةَ يُدْعَى مَادِجُ، وَفِي الشَّتَاءِ غَالِبًا مَا يَسْتَخْدِمُ مِرْلَاجَتَهُ فِي نَقلِ الْأَشْخَاصِ مِنْ مَحَطةِ قِطَارٍ لِأَخْرَى فِي الطَّقْسِ السَّيِّئِ. وَكَانَتِ الْمِرْلَاجَةُ الْغَرِيبَةُ طَوِيلَةً لِلْغَایيَةِ، وَبِهَا سَارِيَةٌ عَالِيَّةٌ تَحْمِلُ الشَّرَاعَ، وَكَانَ بِهَا مُتَسَعٌ لِسَتَّةَ أَفْرَادِ.

عَقَدَ فِيلِيَاْس صَفْقَةً سَرِيعًا مَعَ مَادِجَ لِإِيْصَالِهِمْ إِلَى أَوْمَاهَا، وَلَكِنَّهُ لَمْ يَكُنْ يَرْغُبُ أَنْ تُضْطَرَّ عُودًا لِلسَّفَرِ فِي الْهَوَاءِ الْطَّلْقِ؛ فَسَأَلَهَا إِذَا كَانَتْ تَرْغُبُ فِي انتِظَارِ الْقِطَارِ، وَيُمْكِنُ لِباسْبَارِتُو الْبَقَاءُ بِجَانِبِهَا، وَلَكِنَّهَا رَفَضَتْ، وَكَانَ باسْبَارِتُو سَعِيدًا بِرَفِضِهَا؛ إِذْ أَنَّهُ كَانَ لَا يَزَالُ لَا يَتَقَوَّلُ فِي الْمُحَقَّقِ، وَلَمْ يَشَأْ أَنْ يَتَرَكَهُ وَحْدَهُ مَعَ سَيِّدِهِ.

وَلَمْ يَمْضِ الْكَثِيرُ حَتَّى كَانَتِ الْمِرْلَاجَةُ جَاهِزَةً، وَرَكِبَهَا الْجَمِيعُ وَتَدَبَّرُوا بِأَغْطِيَةٍ ثَقِيلَةٍ لِيَشْعُرُوا بِالدَّفْءِ.

يَا لَهَا مِنْ رِحْلَةٍ! أَسْرَعَتِ الْمِرْلَاجَةُ تَشُقُّ طَرِيقَهَا عَلَى الْمُرْوِجِ بِخَفَّةٍ كَمَا يُشُقُّ الْمَرْكَبُ طَرِيقَهُ فِي الْمِيَاهِ، وَلَكِنَّهَا كَانَتْ مُتَجَمِّدَةً! وَكَانَتِ الرِّيَاخُ قَوِيَّةً وَفِي الاتِّجَاهِ الْمُنَاسِبِ تَمَامًا، وَكَانَتِ الْحُقُولُ الْبَيْضَاءُ الشَّاسِعَةُ أَمَامَهُمْ لَا تَتَرْكُ مَجَالًا لِظُهُورِ الْمَنَازِلِ أَوِ الْمُدُنِ أَوِ الْقُرَى، وَمِنْ ثُمَّ لَمْ يَقْفُ أَمَامَهُمْ أَيُّ عَائِقٍ. وَمِنْ حِينِ لَاَخَرَ، كَانُوا يَمْرُونَ بِشَجَرَةٍ سَقَطَتِ الْوَرَاقُ مِنْ عَلَى أَغْصَانِهَا.

وَفَجَأَهُ، رَأَى مَادِجَ أَسْطُحًا بِيَضَاءِ عَلَى بَعْدِهِ؛ فَصَاحَ: «لَقْدْ وَصَلَنَا! وَسُرْعَانَ مَا مَرَّتِ الْأَمْيَالُ الْآخِيرَةُ الْمُتَبَقِّيَّةُ وَهُرِعَ الْمَسَافِرُونَ لِلْحَاقِ بِالْقِطَارِ. لَقْدَ نَجَحُوا!

وَصَلَوْا إِلَى شِيكَاغُو وَلَمْ يَتَبَقَّ أَمَامَهُمْ سَوَى أَرْبَعِ وَعَشْرِينَ سَاعَةً قَبْلَ اِنْطِلَاقِ الْبَاخِرَةِ إِلَى إِنْجِلِتَرَا، فَانْطَلَقُوا بِسُرْعَةِ الْبُرْقِ. وَفِي النَّهَايَةِ ظَهَرَتْ نِيُويُورِكُ فِي الْأُفْقِ، وَتَوَقَّفَ الْقِطَارُ

فِيلِيَّاس وَبِاسْبَارْتُو يُوجِهَانِ خَارِجِينَ عَلَى الْقَانُونِ ...

أَمَامَ مَكْتَبِ الْبَاخِرَةِ تَمَامًا. وَلَكِنْ كَانَتِ الْبَاخِرَةُ «تَشَائِنَا» الْمُتَجَهَّةُ إِلَى لِيفَرِبُولَ قَدْ غَادَرَتْ قَبْلَ خَمْسٍ وَأَرْبَعِينَ دِقِيقَةً فَقَطْ!

صُعِقَ بِاسْبَارْتُو، لَا يُمْكِنُ هَذَا! لَقَدْ قَطَعُوا كُلَّ هَذِهِ الْمَسَافَةِ فَقَطْ لِيُقَوِّنُوا السَّيْفِيَّةَ بِفَارِقِ سَاعَةٍ إِلَّا رُبْعًا!

فَقَالَ فِيلِيَّاس فَوْجٌ: «لَا يُوجَدُ شَيْءٌ يُمْكِنُنَا فَعْلُهُ اللَّيْلَةَ، لِنَدْهَبُ إِلَى الْفُنْدُقِ، وَسَنَكْتَشِفُ مَا عَلَيْنَا فَعْلُهُ فِي الصَّبَاحِ.»

الفصل الخامس عشر

فيلياس فوق يَجِدُ طَرِيقَهُ إِلَى ليفربول

في اليوم التالي، غادر فيلياس الفندق بمفرده، وكان ينوي العثور على سفينة تقلهم إلى ليفربول مباشرةً؛ إذ كان ذلك اليوم هو الثاني عشر من ديسمبر ولم يتبق لديه سوى تسعه أيام وثلاث عشرة ساعة وخمس وأربعين دقيقة فقط.

أخذ يتجول ذهاباً وإياباً على جانبي النهر، ولكنّه لم يستطع إيجاد مركب لإيصاله. وكاد أن يفقد الأمل حتى رأى سفينة تجارية صغيرة توقف بعيدة عن السفن الأخرى، وكان البخار ينبع من المدخنة التي تعلو المركب؛ أي إنّها كانت على وشك الرحيل. نادى فيلياس على قارب ليأخذه إلى تلك السفينة، وسرعان ما وجد نفسه على متن السفينة «هنريتا». وكان قبطان السفينة - رجل يبلغ من العمر خمسين عاماً وله عينان مسْتَدِيرَتان كثيرتان وشعر أحمر فاتح ولحية نحاسية اللون - يجلس على سطح السفينة، وكان يدعى أندرو سبيدي.

فَسَأَلَهُ فيلياس: «هل أنت على وشك الإبحار؟»

أجاب القبطان سبيدي: «نعم، سنغادر إلى بوردو في غضون ساعة.»

- «هل تقل ركاباً؟»

قال القبطان سبيدي: «كلّا، لا نقل ركاباً، نحن لا نحمل أبداً أي ركاب، فهم يعيقون تقدمنا.»

- «هل سفينتك سريعة؟»

قال القبطان: «نعم، إن سرعتها جيدة، أقصى سرعة ممكّنة.»

سأله فيلياس: «هل تأخذني إلى ليفربول؟ أنا وثلاثة ركاب آخرين.»

- «كَلَّا».

- «كَلَّا؟»

أَصْرَ القُبْطَانُ سَبِيْدِي: «كَلَّا، قُلْتُ إِنَّا سَنَدْهَبُ إِلَى بُورْدُو، وَلَهَا سَنَدْهَبُ إِلَى هُنَاكَ». حَاوَلَ فِيلِيَّاس مَعَهُ بِكُلِّ السُّبْلِ؛ فَحَاوَلَ شِرَاءَ الْقَارِبِ، وَحَاوَلَ أَنْ يَدْفَعَ لِلْقُبْطَانِ مُقَابِلَ تَوْصِيلِهِمْ، وَلَكِنْ رَفَضَ الْقُبْطَانُ كُلَّ عُرُوضِهِ. حَتَّى تِلْكَ اللَّحْظَةِ كَانَ فِيلِيَّاس قَدْ تَمَكَّنَ مِنْ شِرَاءِ طَرِيقِهِ حَوْلَ الْعَالَمِ، وَلَكِنْ هَذِهِ الْمَرَّةَ لَمْ يَكُنِ الْمَالُ هُوَ الْحَلَّ.

سَأَلَهُ فِيلِيَّاس: «هَلْ تَأْخُذُنَا إِلَى بُورْدُو مُقَابِلَ الْفَيِّ دُولَارٍ لِلْفَرْدِ؟»

حَكَ الْقُبْطَانُ سَبِيْدِي رَأْسَهُ وَقَالَ: «أَنْتُمْ أَرْبَعَةُ، أَلِيْسَ كَذَلِكَ؟»

أَجَابَ فِيلِيَّاس: «هَذَا صَحِيحٌ».

- «هَلْ أَنْتُمْ جَمِيعًا جَاهِزُونَ لِلسَّفَرِ؟» فَأَوْمَأَ فِيلِيَّاس بِرَأْسِهِ بِالْإِيجَابِ.

أَكْمَلَ الْقُبْطَانُ: «حَسَنًا، سَنُغَادِرُ فِي التَّاسِعَةِ، فَإِذَا كُنْتُمْ هُنَا، فَسَنَصْطَبِجُوكُمْ مَعْنَا إِلَى

بُورْدُو».

وَبِذَلِكَ كَانَ لَدَى فِيلِيَّاس نِصْفُ سَاعَةٍ فَقَطْ لِيُسْرِعَ إِلَى الْفَنْدِقِ وَيُحْضِرَ عُودًا وَبِاسْبَارْتُو وَفِيكِسَ، ثُمَّ يَعُودُ إِلَى السَّفِينَةِ «هَنْرِيَّتا». وَلَمْ يَظْهُرْ عَلَى فِيلِيَّاس فَوْجٌ مُطْلَقاً وَلَوْ ذَرَّةً وَاحِدَةً مِنَ الْقَلْقِ! تَمَكَّنَ الرُّكَابُ الْأَرْبَعَةُ مِنَ الْوُصُولِ إِلَى الْقَارِبِ قَبْلَ الْمُوْعِدِ بِتَوَانٍ مَعْدُودَةٍ. لَمْ يَكُنْ بِاسْبَارْتُو يَشْعُرُ بِالْإِرْتِيَاحِ بَعْدَمَا عَلِمَ بِالْأَمْوَالِ الَّتِي كَانَ يُنْفِقُهَا سَيِّدُ الْعُوْدَةِ إِلَى لَنْدَنَ فِي الْوَقْتِ الْمُنَاسِبِ لِلْفُوزِ بِالرَّهَانِ. أَمَّا بِالنِّسْبَةِ لِفِيكِسَ، فَيُفِي كُلُّ مَرَّةٍ يُنْفِقُ فِيهَا فِيلِيَّاس مِنَ النُّقُودِ، كَانَ يَرَى مُكَافَاتَهُ تَتَلَاشَى؛ فَفِي نِهايَةِ الْمَطَافِ، هَذِهِ الْأَمْوَالُ الَّتِي يُنْفِقُهَا مِلْكُ الْبَلْكِ، وَكُلُّمَا أَنْفَقَ الْلَّصُ مِنْ تِلْكَ النُّقُودِ، أَصْبَحَ الْمُبْلَغُ الَّذِي سَيُعِيدُهُ إِلَى الْبَلْكِ أَقْلَ، وَكُلُّمَا قَلَّ هَذَا الْمُبْلَغُ، قَلَّتْ مُكَافَاتُهُ. وَلَمْ تَرْفَعْ تِلْكَ الْأَمْكَارُ مِنْ مَعْنَوِيَّاتِهِ الَّتِي كَانَتْ مُنْخَفَضَةً بِالْفَعْلِ.

وَبِحُلُولِ ظُهُورِ الْيَوْمِ التَّالِي كَانَتْ «هَنْرِيَّتا» تُبْحِرُ بِشَكْلٍ جَيِّدٍ. وَقَفَ فِيلِيَّاس فَوْجَ عَلَى سَطْحِ قِيَادَةِ السَّفِينَةِ، وَأَحَدَ يَتَطَلَّعُ عَبْرَ الْمُحِيطِ الْأَطْلَنْطِيِّ، وَفِي هَذِهِ الْأَثْنَاءِ، كَانَ الْقُبْطَانُ سَبِيْدِي قَدْ أَغْلَقَ كَابِينَتَهُ عَلَى نُفُسِهِ، وَلَمْ يَكُنْ سَعِيدًا عَلَى الإِطْلَاقِ.

أرادَ فيلياس الذهاب إلى ليفربول، ولم يكُن شيءٌ ليحول دون وصوله إلى هناك، وكان قد أخبر طاقم السفينة كله بقصته، وعندما علموا بالمسافة التي قطعها، قرروا مساعدته، فتجاهلوه أوامر القبطان، وحددوا وجهة جديدة للسفينة؛ نحو ليفربول.

كانت الرحلة البحريّة تسير على خير ما يرام في أيامها الأولى؛ فكانوا يحافظون على سير «هنريتا» بأقصى سرعةٍ ويحرقون المزيّد من الفحم. وكانتوا قد عبروا نيوفاوندلاند وخرجو إلى عرض البحار، وكان باسبارتو يسلّي البحارة بإقامات استعراضات لهم، وقد جعلت روح الدعاية التي يتمتع بها الجميع سعادة.

أمضت عوداً معظم الوقت على السطح مع فيلياس الذي حاول أن يهدئ من روعها؛ وكانت قلقة حقاً حيال ما سيتهي إليه الأمور.

وتجاءً تبدل الطقس، فعبور المحيط الأطلنطي في الشتاء ينطوي على الكثير من المخاطر؛ فهناك العواصف الشديدة والأمواج العتيقة؛ ففي لحظة واحدة يمكن أن يخرج القارب عن مساره أو تقلبه الأمواج. وبدلاً من الاعتماد على الرياح في البحار، كانوا يعتمدون على المحرك فقط، وكان الفحم هو مصدر الطاقة الوحيدة الذي يدفعهم إلى الأمام.

وفي السادس عشر من ديسمبر، صعد المسؤول عن المحرك في السفينة إلى السطح ليبلغ فيلياس أن الفحم قد أوشك على النفاذ.

فقال فيلياس للرجل: «دعني أفكّر في الأمر لوهلة».

خيم الصمت على الاثنين وفيلياس يفكّر ماداً يفعل، ثم قال: «اجعل المحركات تعمل بأقصى سرعةً كما هي، لقد وجدت حلّاً. باسبارتو!»

قفز الخادم من السطح السفلي ووقف أمامه، فقال له فيلياس: «من فضلك اطلب من القبطان أن يخرج من كابينته». فأومأ باسبارتو برأسه في طاعة.

لم يكن القبطان يرغب في التحرك من مكانه، فقد كان يستنشيط غضباً لأن فيلياس فوج قد استولى على سفينته، فلم يكن يريد التحدث معه، ناهيك عن الصعود إلى سطح السفينة، ولكن باسبارتو أصر.

صاح القبطان: «أين نحن؟»

أجابه فيلياس: «على بعد سبع مائة وسبعين ميلاً من ليفربول».

صَرَخَ الْقُبْطَانُ سَبِيْدِي: «قُرْصَانُ! لِصُّ!»

قَالَ فِيلِيَاْس: «سَيِّدِي، سَنَحْتَاجُ إِلَى شَعَالٍ سَطْحِ السَّفِينَةِ، فَالْفَحْمُ لَدَيْنَا يَكَادُ أَنْ يَنْفَدَ.»

قَالَ الْقُبْطَانُ سَبِيْدِي: «ت.. تُحْرِقُ س... سَفِينَتِي؟ بِالْطَّبْعِ لَا!»

بَحَثَ فِيلِيَاْسِ فِي جَيْبِهِ وَأَخْرَجَ رِزْمَةً كَبِيرَةً مِنَ الْأَمْوَالِ: «إِلَيْكَ هَذَا الْمَبْلَغُ، إِنَّهُ كَافٍ لِشَرَاءِ قَارِبَيْنِ آخَرَيْنِ، وَسَيُعَوْضُكَ ذَلِكَ عَنِ الْأَضْرَارِ الَّتِي سَبَبْتُهَا لَكَ وَلِهَذَا الْقَارِبِ.»

أَخَذَ الْقُبْطَانُ سَبِيْدِي الْمَالَ بِهُدُوءٍ، وَنَسِيَ عَصْبَهُ وَمَا يَحْمِلُهُ مِنْ ضَغْيَنَةٍ تِجَاهِ فِيلِيَاْسِ فَوْج؛ وَفَكَرَ فِي نَفْسِهِ: «إِذَا كَانَ هَذَا الرَّجُلُ عَلَى اسْتِعْدَادٍ لِأَنْ يَدْفَعَ كُلَّ مَا يَمْلِكُ إِلَى لِيفَرْبُول، فَيُمْكِنُنِي أَنْ أُسَاعِدَهُ فِي ذَلِكَ، كَمَا أَنَّهُ لَا يُوجَدُ شَيْءٌ آخَرُ بِمُمْكِنَيِّي أَنْ أَفْعَلَهُ، كَمَا أَنَّ سَفِينَتِيْنِ سَتُوفَرَانِ لِحَيَاَةَ كَرِيمَةَ أَكْثَرَ مِنْ سَفِينَةٍ وَاحِدَةٍ.»

فَقَالَ سَبِيْدِي: «أَعْتَبُ السَّفِينَةَ «هَنْرِيَا» مِلْكَ يَا سَيِّدِي، أَعْنِي، يَا قُبْطَانَ فَوْجِ.» وَعَلَى مَدَارِ الْأَيَّامِ الْقَلِيلَةِ التَّالِيَّةِ أَحْرَقَ الطَّاقَمُ أَجَزَاءَ مِنَ السَّفِينَةِ لِمُسَاعَدَتِهَا عَلَى مُوَاصِلَةِ رِحْلَتِهَا. وَوَصَلَ الْمُسَافِرُونَ إِلَى مِيَانَاءِ لِيفَرْبُول، وَلَدِيْهِمْ تِسْعُ سَاعَاتٍ فَقَطْ قَبْلَ انتِهَاءِ الْمَوْعِدِ.

تَرَكُوهَا لِلْقُبْطَانِ سَبِيْدِي، وَوَطَئَتْ أَقْدَامُهُمْ أَخِيرًا الْأَرَاضِيِّ الْإِنْجِلِيزِيَّةِ. وَفِي التَّوْ، تَرَلَ فِيكِسْ وَرَاءَهُمْ وَوَضَعَ يَدَهُ عَلَى كِتْفِ فِيلِيَاْسِ. وَسَأَلَهُ: «هَلْ أَنْتَ فِيلِيَاْسِ فَوْج؟»
— نَعَمْ.

قَالَ فِيكِسْ وَهُوَ يَحْمِلُ فِي يَدِهِ مُذَكَّرَةَ الْقَبْضِ عَلَى فِيلِيَاْسِ: «إِذْنُ أَنَا الْقِيِّ الْقَبْضَ عَلَيْكَ بِاسْمِ جَلَالَةِ الْمَلِكَةِ.»

الفصل السادس عشر

خسارة الرهان!

كان فيلياس فوج رهن الاعتقال في مصلحة الجمارك مُندٍّ أن ألقى فيكس القبض عليه قبل بضع دقائق، وكان من المزمع إرساله إلى لندن في غضون دقائق. وعندما رأى باسبارتو فيكس يُلقي القبض على سيده، حاول أن يهجم على المحقق فيكس في نوبة غضب، ولكن كان هناك رجال شرطة بجانب المفتش فمنعوه من ذلك. كانت عودا مصوقةً مما يحدُث، ولم تفهم منه شيئاً؛ فسرح لها باسبارتو كُلَّ شيء، فأخبرها أن فيكس يظن أن فيلياس فوج هو سارق المصرف، وأوضح لها كيف تعقبهما حول العالم.

ثم فكر باسبارتو: «هل كُلُّ هذا خطئي؟ مَاذا لو كنت أخبرت سيدتي عن فيكس مُندٍّ البداية؟ هل كان من الممكِن أن أمنع اعتقاله؟ ربما كان سيدني سيسقط فيكتس ببراءته!»

ولكن كان الأول قد فات على القيام بأي شيء، جلس باسبارتو في مصلحة الجمارك بيكي، وكانت عودا أيضاً هناك؛ فلم يشا أي منها أن يغادر حتى يريها فيلياس.

لم يُعد لدى فيلياس فوج أي فرص آخر؛ فكان عليه الوجود في نادي «ريفورم كلوب» بعد تسع ساعات بالضبط، وكانت الرحالة من ليفربول إلى لندن تستغرق ست ساعات، ولكنه الآن رهن الاعتقال، فلا يوجد أي ضمان بأنه سيصل إلى لندن في الوقت المناسب للتبرئة ساحتة، ناهيك عن الدهاب إلى نادي «ريفورم كلوب» في الوقت المناسب. جلس فيلياس فوج في زنزانته لا يحرّك ساكناً، وبالرغم من قسوة المقدّد الذي يجلس عليه والمستقبل الغامض الذي ينتظره، لم يبدِّ على ملامحه أي مشاعر، لقد ظلَّ

جَالِسًا فِي مَكَانِهِ، يَنْتَظِرُ ... يَنْتَظِرُ مَاذَا؟ هَلْ لَا يَزَالُ لَدَيْهِ أَمْلٌ فِي الْفُوزِ بِالرِّهَانِ؟ حَتَّى وَهُوَ يَقِفُ خَلْفَ أَسْوَارِ السَّجْنِ؟ هَلْ لَا تَزَالُ أَمَامَهُ فُرْصَةً لِلفُوزِ؟

وَضَعَ فِيلِيَاـس سَاعِتَهُ بِحِرْصٍ بِجَانِبِهِ، وَنَظَرَ يُرَاقبُ عَقَارِبَهَا وَهِيَ تَتَحرَّكُ. لَمْ يَنْقُوهُ بِكَلِمةٍ، وَكَانَ الْمُوقَفُ بِبَسَاطَةٍ كَالْأَتِي: إِذَا كَانَ فِيلِيَاـس فَوْجَ شَرِيفًا، فَلَقَدْ أَفْلَسَ؛ وَإِنْ كَانَ هُوَ الْلَّصُ، فَلَقَدْ قُبِضَ عَلَيْهِ.

هَلْ فَكَرَ فِي الْهُرُوبِ؟ رُبَّمَا مَرَّةً وَاحِدَةً فَقَطْ، وَهُوَ يَسِيرُ بِبُطْءٍ فِي الرِّزْنَانَةِ، وَلَكِنْ لَا أَمَلَ فِي ذَلِكَ؛ فَالْبَابُ كَانَ مُوصَدًا بِإِحْكَامٍ وَكَانَتْ هُنَاكَ قُضْبَانٌ حَدِيدِيَّةٌ عَلَى التَّوَافِدِ. فَجَاسَ وَأَخْرَجَ دَفْتَرَ يَوْمِيَّاتِهِ مِنْ جَيْهِهِ، وَكَتَبَ «السَّبْتُ الْمُوْفَقُ الْحَادِيَّ وَالْعُشْرِينَ مِنْ دِيسمِبرِ، لِيَفْرِبُولُ»، ثُمَّ أَضَافَ «الْيَوْمُ التَّمَانُونُ، السَّاعَةُ الْحَادِيَّةُ عَشْرَةً وَأَرْبَعُونَ ذِيقَةً صَبَاحًا»، ثُمَّ لَمْ يَكُنْ بِيُوسُعِهِ سَوَى الْإِنْتِظَارِ.

دَقَّتْ سَاعَةُ مَصْلَحةِ الْجَمَارِكِ مُعْلَنَةً الْواحِدَةَ ظُهْرًا، لَقَدْ كَانَتْ سَاعَتُهُ مُتأخِّرَةً سَاعَتَيْنِ! لَقَدْ أَضَاعُوا الْوَقْتَ فِي مَكَانٍ مَا فِي الرِّحْلَةِ، فَكَرَ فِيلِيَاـس أَنَّهُ لَوْ كَانَ عَلَى مَتْنِ الْقِطَارِ السَّرِيعِ، لَتَمَكَّنَ مِنَ الْوُصُولِ إِلَى لَندَنَ ثُمَّ إِلَى نَادِيِ «رِيفُورِمِ كِلُوبِ» فِي الْوَقْتِ الْمُحَدَّدِ لِلْفُوزِ بِالرِّهَانِ. لَكِنْ لِلأَسْفِ، كَانَ دَاخِلَ أَسْوَارِ السَّجْنِ، وَمَرَّتْ سَاعَةٌ وَنَصْفُ أُخْرَى قَبْلَ أَنْ يَسْمَعَ ضَوْضَاءَ بِالْخَارِجِ، لَقَدْ كَانَ بِاسْبَارِتُو وَكَانَتْ عَيْنَاهُ تَلْمِعَانِ قَلِيلًا. فُتَحَ الْبَابُ عَلَى مِصْرَاعِيهِ وَرَأَى فِيلِيَاـس بِاسْبَارِتُو وَعُودَا وَفِيكِسَ الَّذِي اندْفَعَ تَجَاهَهُ. كَانَ فِيكِس يَأْهُثُ وَشَعْرُهُ يَبْدُو أَشْعَثَ، وَتَهْتَهَ قَائِلًا: «يَا سَيِّدي، سَـ سَـ يـ... دـ... يـ، سَامِحـنِي ... لَقَدْ كَانَ ... خَطـاً ... كَانَ يَبْدُو شَبَهَكَ تَمَامًا ... ذَلِكَ الْلَّصُ ... وَهُوـ ... هـ... هـ... وـ ... الـقـيـ القـبـضـ عـلـيـهـ مـنـذـ بـضـعـةـ آيـامـ مـضـتـ! أـنـتـ حـرـاـ!»

وَكَانَ الْلَّصُ الْحَقِيقِيُّ — وَاسْمُهُ جِيمِس سِترَانِد — قَدْ الـقـيـ القـبـضـ عـلـيـهـ فِي أـدـنـبـرـةـ مـنـذـ ثـلـاثـةـ آيـامـ. لَقَدْ كَانَ فِيلِيَاـس فَوْجَ بِرِيـئـاـ! فَوَقَفَ فِيلِيَاـس وَعَدَلَ مـعـطـفـهـ، ثـمـ اتـجـهـ مـسـرـعـاـ نـحـوـ الـمـحـقـقـ فـيـكـسـ، وَسـدـدـ لـهـ لـكـمـةـ قـوـيـةـ فـيـ أـنـفـهـ طـرـحـتـهـ أـرـضاـ عـلـىـ الـفـوـرـ! فـقـالـ بـاسـبـارـتـوـ: «أـحـسـنـتـ عـمـلاـ يـاـ سـيـيـديـ! لـمـ يـحـرـكـ فـيـكـسـ سـاـكـنـاـ، فـقـدـ كـانـ يـعـلـمـ أـنـهـ يـسـتـحـقـ ذـلـكـ. غـادـرـ فـيـلـيـاـسـ وـعـودـاـ وـبـاسـبـارـتـوـ مـصـلـحـةـ الـجـمـارـكـ فـيـ عـجـلـةـ، وـقـفـزـوـاـ فـيـ سـيـارـةـ أـجـرـةـ لـلـوـصـولـ إـلـىـ مـحـطةـ الـقـطـارـ بـسـرـعـةـ.

خَسَارَةُ الرِّهَانِ!

قَالَ بَاسِبَارْتُو وَهُوَ لَا يُخَاطِبُ أَحَدًا بِعِيْنِهِ: «هَلْ فَاتَّنَا كُلُّ الْقِطَارَاتِ الْمُتَجَهَّةِ إِلَى لَندَنَ؟

قَالَ فِيلِيَّاْسُ: «دَعْنِي أَتَحَرُّ الْأَمْرَ!» فَذَهَبَ إِلَى شُبَّاكِ التَّدَاكِيرِ، وَسَأَلَ الْمُوَظَّفَ إِذَا كَانَ هُنَاكَ أَيُّ قِطَارٍ سَرِيعٍ سَيُغَادِرُ بَعْدَ قَلِيلٍ.

أَجَابَهُ الْمُوَظَّفُ: «آسِفُ يَا سَيِّدِي، لَقَدْ غَادَ مُنْذُ خَمْسَ دَقَائِقَ فَقَطُّ!»

قَالَتْ عُودَا: «لَا، يَا إِلَهِي! لَنْ نَسْتَطِيعَ الْوُصُولَ إِلَى هُنَاكَ فِي الْمَوْعِدِ أَبَدًا.»

قَالَ فِيلِيَّاْسُ: «عِنْدِي فِكْرَةُ، دَعِينِي أَتَحَرُّ إِذَا كَانَ مِنَ الْمُمْكِنِ اسْتِأْجَارُ قِطَارٍ لِيُقْلِنَا إِلَى لَندَنَ، انتَظِرِي هُنَاكَ!»

تَحَدَّثَ فِيلِيَّاْسُ مَعَ الْمُوَظَّفِ الَّذِي اسْتَدَعَ مِدِيرَ الْمَحَطةِ، وَنَاقَشَ الرَّجُلَانِ الْمَوْقِفَ، وَبَعْدَ مُرْوِدٍ بِضِعْ دَقَائِقَ، عَادَ فِيلِيَّاْسُ إِلَى بَاسِبَارْتُو وَعُودَا.

وَقَالَ: «لَقَدْ اسْتَأْجَرْتُ قِطَارًا خَاصًّا، وَسَنُغَادِرُ فِي الثَّالِثَةِ مَسَاءً.»

وَأَخِيرًا، كَانَ الْمُسَافِرُونَ الْثَّلَاثُ حَوْلَ الْعَالَمِ فِي الْمَحَطةِ الْأُخْرَيَةِ مِنْ رَحْلَتِهِمْ، وَعِنْدَمَا هَبَطَ فِيلِيَّاْسُ فَوْجٌ عَلَى الرَّصِيفِ فِي لَندَنَ، كَانَتْ عَقَارِبُ السَّاعَةِ تُشِيرُ إِلَى التَّاسِعَةِ إِلَّا عَشْرَ دَقَائِقَ! لَقَدْ وَصَلَ مُتأَخِّرًا خَمْسَ دَقَائِقَ بَعْدَ أَنْ جَابَ حَوْلَ الْعَالَمِ فِي ثَمَانِينَ يَوْمًا. لَقَدْ خَسَرَ الرِّهَانَ!

الفصل السابع عشر

الفَوْزُ بِالرِّهَانِ!

كانت جميع أبوابِ ونوافذِ منزلِ فيلياس فوجِي شارعِ سافيل رو مغلقةً، والستائرُ مسدلةً، ولم تكنْ هناكَ أي إشاراتٍ في المنزلِ تدلُّ على أنَّه قد عادَ، لقد أفلسَ بسبِبِ محققٍ سخيفٍ. أفلسَ!

بعدَ أنْ قطعَ كُلَّ تلكَ الأميالِ، وبعْدَ التَّغَلُّبِ عَلَى كافَةِ الأَخْطَارِ الَّتِي واجهَها والْعَوَاقِبِ الَّتِي وقفتُ في طَرِيقِهِ، ضاعَ ذَلِكَ هَبَاءً! لَقَدْ كَانَ يَدِينُ بِبَاقِي ثُروَتِهِ إِلَى أَصْدِقَائِهِ في نادِي ريفورمِ كلوبِ، وَكَانَ كُلُّ مَا يَمْلِكُهُ مِنْ نُقُودٍ هُوَ ذَلِكَ الْمُبْلَغُ الْفَسِيلِيُّ الْمُنْبَقِيُّ في حَقِيبَتِهِ الْقُماشِيَّةِ.

وفي تلكَ اللَّيْلَةِ، خَلَدَ فيلياس إلى النَّوْمِ مُثْقَلًا بِالْهُمُومِ وَالْحَرَاجِ، وَكَذَلِكَ عُوداً الَّتِي شَعَرَتْ بِالْأَسْفِ بِحِيَالِ الرَّجُلِ الَّذِي أَنْقَذَ حَيَاتَهَا، وَلِكِنَّهَا لَمْ تَعْرِفْ مَا يُمْكِنُهَا أَنْ تَفْعَلَهُ لِمُسَاعِدَتِهِ الْآنِ.

في الصَّبَاحِ التَّالِي، عِنْدَمَا أَحْضَرَ باسبارتو لَهُ الْفَطُورَ، طَلَبَ مِنْهُ فيلياس أَنْ يُخْبِرَ عُوداً بِأَنَّهُ يَوْدُ أَنْ يَرَاهَا بَعْدَ العَشَاءِ؛ فَكَانَ يُرِيدُ أَنْ يَمْضِي يَوْمَهُ في التَّأكِيدِ مِنْ أَنَّ شُنُونَهُ تَسِيرُ عَلَى مَا يُرِيدُهُ. وَكَانَ أَكْثَرُهُمْ حُزْنًا وَأَنْقُلُهُمْ هَمًا هُوَ الْخَادِمُ الْمُخْلِصُ الَّذِي كَانَ يَعْرُفُ أَنَّهُمْ خَسِرُوا الرِّهَانَ بِسَبِبِ خَطَئِهِ هُوَ؛ فَلَوْ أَنَّهُ أَخْبَرَ سَيِّدَهُ بِأَمْرِ الْمُحَقْقِ، لَكَانَ الْمُوقَفُ قَدْ تَغَيَّرَ.

لَمْ يَسْتَطِعْ باسبارتو السَّيْطَرَةَ عَلَى مَشَايِعِهِ أَكْثَرَ مِنْ ذَلِكَ، فَقَالَ: «لَكُنْ يَا سَيِّدي! لِمَاذَا لَسْتَ غَاضِبًا مِنِّي؟ فَكُلْ ذَلِكَ خَطَئِي..»

- «أَنَا لَا أُلْقِي بِاللَّوْمِ عَلَى أَحَدٍ يَا بَاسِبَارْتُو. الْآنَ، مِنْ فَضْلِكَ اذْهَبْ وَأَخْبِرِ الْأَنْسَةَ عُودَا.»

- «أَمْرُكَ يَا سَيِّدِي». وَانْطَلَقَ بَاسِبَارْتُو لِيُخْبِرَ عُودَا أَنَّ فِيلِيَاْسَ يَوْدُ التَّحْدِثَ إِلَيْهَا بَعْدَ الْعَشَاءِ.

لِأَوْلَى مَرَّةٍ مُنْذُ أَمَدَ بَعِيدٌ لَمْ يَتَوَجَّهْ فِيلِيَاْسَ إِلَى نَادِي «رِيفُورْمَ كِلُوب» فِي تَمَامِ السَّابِعَةِ وَالنِّصْفِ. وَلِمَاذَا يَدْهَبْ؟ لَقَدْ تَأَخَّرَ يَوْمًا عَنِ الْمَوْعِدِ، وَكَانَ الشِّيكُ مَعَ أَصْدِقَائِهِ بِالْفِعْلِ، فَكَانَ كُلُّ مَا عَلَيْهِمْ هُوَ الدَّهَابُ إِلَى الْبَنْكِ لِصَرْفِ الْمَالِ؛ لِذَلِكَ ظَلَّ فِيلِيَاْسَ فِي الْمَنْزِلِ، وَظَلَّ فِي غُرْفَتِهِ، وَاسْتَغْرَقَ فِي تَفْكِيرٍ عَمِيقٍ، وَكَذَلِكَ كَانَتْ عُودَا. فِي ذَلِكَ الْيَوْمِ، كَانَ بَاسِبَارْتُو فَقَطْ هُوَ مَنْ يَتَجَوَّلُ فِي جِمِيعِ الْأَنْحَاءِ لِيُلْبِيَ نِدَاءَ مَنْ يَحْتَاجُ إِلَيْهِ.

بَعْدَ الْعَشَاءِ، جَلَسَ فِيلِيَاْسَ وَعُودَا لِيَتَحَدَّثَا، فَقَالَ فِيلِيَاْسُ: «عُودَا، هَلَّا تُسَامِحِينِي لِاصْطَحَابِكِ إِلَى إِنْجِلْتَرَا؟ عِنْدَمَا ...»

- «مَاذَا تُقُولُ؟ لَقَدْ أَنْقَدْتَ حَيَاْتِي!»

فَتَابَعَ: «أَرْجُوكِ، دَعَيْنِي أَكْمُلَ حَدِيثِي، عِنْدَمَا أَحْضَرْتُكِ إِلَى هُنَا، بَعِيدًا عَنْ وَطِنِكِ، كُنْتُ رَجُلًا ثَرِيًّا، وَكَانَ بِإِمْكَانِي مُسَاعِدَتُكِ لِبَدْءِ حَيَاةِ جَدِيدَةٍ، أَمَّا الْآنَ فَأَنَا مُفْلِسُ.»

فَقَالَتْ عُودَا: «أَعْلَمُ يَا عَزِيزِي فِيلِيَاْسَ، وَلَكِنْ كُلُّ مَا أَطْلَبْتُهُ مِنْكَ هُوَ أَنْ تُسَامِحِنِي لِأَنِّي كُنْتُ جُزَءًا مِنْ ذَلِكَ الدَّمَارِ الَّذِي لَحِقَ بِكِ؛ فَلَقَدْ كَانَ حَطَّئِي لِأَنَّكَ اضْطَرَرْتَ لِإِنْقَادِي.»

- «هَذَا هُرَاءُ، لَقَدْ كُنْتُ بِحَاجَةٍ إِلَى الْأَمَانِ، وَهَا أَنْتِ ذِي آمِنَةِ الْآنِ.»

فَقَالَتْ: «هَذَا صَحِيحُ، وَلَكِنْ مَاذَا سَيَحْدُثُ لَكَ؟»

نَظَرَ فِيلِيَاْسَ إِلَى الْفَتَاهِ الطَّيِّبَةِ الَّتِي تَجْلِسُ أَمَامَهُ وَقَالَ: «لَيْسَ لَدَيَ أَصْدِقَاءٍ حَقِيقِيُّونَ، وَلَا عَائِلَةً، وَلَكِنِّي سَأَكُونُ عَلَى مَا يُرِامُ.»

فَقَالَتْ عُودَا: «حَسَنًا، إِذَا قِيلَتْ بِي زَوْجَهُ لَكَ، فَسَأَكُونُ عَائِلَتَكَ، وَيُمْكِنُنَا مُواجَهَهُ الْمُسْتَقْبَلِ مَعًا.»

نَهَضَ فِيلِيَاْسَ وَاقِفًا عَلَى قَدَمِيهِ، وَلَمْ يَعْرِفْ مَاذَا يُقُولُ، فَقَطْ لَمَعَتْ عَيْنَاهُ، وَارْتَجَفَتْ شَفَتَاهُ، وَلَمْ تَنْفُوهُ عُودَا بِكَلِمَةٍ، بلْ وَقَفَتْ تَنْتَظِرُ أَنْ يَتَحَدَّثَ هُوَ.

فَقَالَ: «إِنِّي أُحِبُّكَ حَقًّا تَعْمَ، بِحَقِّ السَّمَاءِ إِنِّي أُحِبُّكَ! لِتَنْزَوْجُ.» وَأَمْسَكَ كُلُّ مِنْهُمَا بِيَدِ الْآخِرِ بِقُوَّةٍ وَتَشَابَكَتْ أَيْدِيهِمَا.

الفُورِ بالرّهانِ!

دَخَلَ باسبارتو إِلَى الْغُرْفَةِ، وَرَأَيْ كِلَيْهِما يَبْتَسِمُ فِي سَعَادَةٍ.
قالَ فيلياس: «سَنَتَرَوْجُ! هَلْ تَظْنُنَ أَنَّ الْوَقْتَ قَدْ تَأَخَّرَ لِلتَّحَدُّثِ إِلَى الْكَاهِنِ فِي أَبْرَشِيَّةِ مارليبون؟»

سَأَلَ باسبارتو: «هَلْ تَرْغَبَانِ فِي عَقْدِ الزَّوْاجِ غَدًا، يَوْمَ الْإِثْنَيْنِ؟»
أَجَابَ فيلياس: «نَعَمْ، غَدًا.»

وَرَدَّدَتْ عُودًا: «نَعَمْ،
فَاطْلُقْ باسبارتو سَاقِيَّهِ لِلرِّيحِ.

هُرَغَ باسبارتو عَائِدًا إِلَى غُرْفَةِ الْجُلُوسِ حَيْثُ كَانَ فيلياس وَعُودًا يَنْتَظِرَاهُ.
وَقَالَ وَهُوَ يَلْهُثُ: «الزَّوْاجُ ... مُسْتَحِيلٌ غَدًا.»
- «مَا الَّذِي تَتَحَدَّثُ عَنْهُ؟»
- «غَدًا ... غَدًا هُوَ يَوْمُ الْأَحَدِ.»
أَصَرَّ فيلياس: «كَلَّا، إِنَّهُ يَوْمُ الْإِثْنَيْنِ.»
قالَ باسبارتو: «كَلَّا فَالْيَوْمُ هُوَ ... هُوَ السَّبْتُ.

ثُمَّ جَدَّبَ فيلياس مِنْ يَاقِتِهِ وَدَفَعَهُ مَعَهُ، وَقَفَزَ فِي سَيَّارَةِ أُجْرَةِ، وَكَانَتْ عَقَارِبُ السَّاعَةِ تُشِيرُ إِلَى التَّالِمَةَ وَالنِّصْفِ مِنْ مَسَاءِ يَوْمِ الْحَادِي وَالْعِشْرِينِ مِنْ دِيْسِمْبَرِ، وَكَانَ لَدَيْ فيلياس فوج حَمْسَ عَشْرَةَ دِقِيقَةً فَقَطَ لِلْوُصُولِ إِلَى نَادِيِ «رِيفُورِمِ كِلُوبِ».«

جَلَسَ شُرَكَاءُ فيلياس فوج فِي لُعْبَةِ البرِيدِجِ فِي القَاعَةِ الْكُبُرِيِّ فِي نَادِيِ «رِيفُورِمِ كِلُوبِ» يُرِاقِبُونَ السَّاعَةَ، وَأَخَذُوا يَنْظُرُونَ إِلَى بَعْضِهِمُ الْبَعْضِ، وَحاوَلُوا تَمْضِيَّةَ الْوَقْتِ فِي قِرَاءَةِ الصُّحُفِ، وَبِالْطَّبَّعِ كَانَ مَحْوُرُ حِدِيثِ الصُّحُفِ هُوَ فيلياس فوج؛ لِذَلِكَ كَانَ مِنَ الصَّعِبِ تَجْنُبُ المَوْضُوعِ!

قالَ توماس: «حَسَنًا أَئُهَا السَّادَةُ، لَدَيْ فيلياس رُبْعُ سَاعَةٍ فَقَطْ قَبْلَ أَنْ يَنْتَهِي الْمَوْعِدُ الْمُحَدَّدُ، هَلْ تَظْلُمُونَ إِنَّهُ سَيَنْجَحُ؟»
فَقَالَ أندرو: «لَوْ كَانَ قَدْ اسْتَقَلَّ الْقِطَارُ الَّذِي يَنْطَلِقُ فِي تَمَامِ السَّابِعَةِ وَثَلَاثَ وَعِشْرِينَ دِقِيقَةً مِنْ ليِفِربُولِ، لَكَانَ قَدْ وَصَلَ إِلَى هُنَا بِالْفِعْلِ؛ أَعْتِقُدُ أَنَّنَا رَبِحْنَا.»

قال صموئيل: «لَا أَعْتِقُ أَنَّهُ عَلَيْنَا اسْتِعْجَالُ الْأُمُورِ الْآنِ، فَفِيلِيَاسْ دَائِمًا يَصِلُّ فِي مَوْعِدِهِ الْمُحَدَّدِ تَمَامًا».

قال توماس: «لَكِنَّ الْحَقِيقَةَ تَزَالُ كَمَا هِيَ؛ فَهَذِهِ الرِّحْلَةُ بِأَكْمَلِهَا كَانَتْ نَوْعًا مِنَ الْمُقَامَرَةِ، وَالْتَّاخِرُ لِمُدْدَةِ يَوْمٍ وَاحِدٍ مِنَ الْمُمُكِنِ أَنْ يَقْضِي عَلَى فُرْصَتِهِ فِي الْعَوْدَةِ فِي مَوْعِدِهِ الْمُحَدَّدِ».

أَصْرَرَ أَنْدرو: «لَقَدْ خَسِرَ أَيْهَا السَّادَةُ، لَقَدْ خَسِرَ؛ فَالْبَاحِرَةُ الْوَحِيدَةُ الَّتِي كَانَ يُمْكِنُ أَنْ يَكُونَ عَلَى مَتْنَاهَا هِيَ «تَشَايِنَا»، وَأَنَا أَعْلَمُ عِلْمَ الْيَقِينِ أَنَّهُ لَمْ يَكُنْ عَلَى مَتْنَاهَا. وَفِي ظَنِّي أَنَّهُ مُتَأَخِّرٌ عَلَى الْأَقْلَى عِشْرِينَ يَوْمًا».

فِي تِلْكَ اللَّحْظَةِ كَانَتْ عَقَارُبُ السَّاعَةِ تُشِيرُ إِلَى التَّائِمَةِ وَأَزْبَعِينَ دَقِيقَةً، فَقَالَ رَالْفُ: «لَمْ يَتَبَقَّ سِوَى حَمْسِ دَقَائِقٍ، أَعْتِقُ أَنَّ أَنْدرو سَيَصْرُفُ الشَّيْكَ مِنَ الْبَيْنِ غَدًا». نَظَرَ الرِّجَالُ الْحَمْسَةُ إِلَى بَعْضِهِمُ الْبَعْضِ، وَكَانُوا جَمِيعًا يَشْعُرُونَ بِالْقُلُقِ، وَحاوَلُوا التِّقَاطَ أُوراقِهِمْ وَإِنْهَاءَ الْجُولَةِ، وَلَكِنْ لَمْ يَسْتَطِعْ أَيُّهُمْ أَنْ يُبْعِدَ نَاظِرِيهِ عَنِ السَّاعَةِ. بَدَأَتِ الثَّوَانِيَّةُ فِي الْعَدِّ التَّنَازُلِيِّ: حَمْسُونَ، وَاحِدٌ وَحَمْسُونَ، اثْنَتَانِ وَحَمْسُونَ. وَفِي الْخَامِسَةِ وَالْحَمْسِينَ، سَمِعُوا صَوْتَ جَبَّابَةِ عَالِيَّةِ بِالْخَارِجِ تَبِعَهَا تَصْفِيقٌ، وَوَقَفَ الرِّجَالُ الْحَمْسَةُ، وَفِي الثَّانِيَّةِ السَّابِعَةِ وَالْحَمْسِينَ، فَتَحَّ فِيلِيَاسْ فَوْجَ بَابِ الْقَاعَةِ الْكُبْرَى، وَقَالَ: «هَانَذَا أَيْهَا السَّادَةُ!»

لَقَدِ اسْتَطَاعَ فِيلِيَاسْ فَوْجَ السَّفَرِ حَوْلَ الْعَالَمِ فِي ثَمَانِينَ يَوْمًا، وَفَازَ بِالرِّهَانِ، وَلَكِنْ كَيْفَ؟ أَيْنَ سَقَطَ ذَلِكَ الْيَوْمُ مِنْ حِسَابَاتِهِ؟ لَا سِيمَاءَ بِالسَّيَّةِ لِشَخْصٍ يَحْرِصُ بِشَدَّةٍ عَلَى مُرَاقبَةِ الْوَقْتِ. يَبْدُو أَنَّ فِيلِيَاسْ وَبَاسِبَارْتُو قَدْ نَسِيَا وَضَعَ الْمَنَاطِقَ الرَّمْنِيَّةَ الْمُخْتَلِفَةَ فِي عَيْنِ الْاعْتِبَارِ، وَلَا بُدُّ أَنَّهُمَا عِنْدَمَا سَافَرَا إِلَى الشَّرْقِ، كَانَا يَرْبَحَانَ سَاعَةً هُنَا وَهُنَاكَ، وَعِنْدَمَا عَادَا إِلَى لَنْدَنَ كَانَ لَدِيهِمَا يَوْمٌ كَامِلٌ! وَلَوْ كَانَتْ سَاعَتُهُمَا تُشِيرُ إِلَى الْأَيَّامِ أَيْضًا بَدَلًا مِنِ السَّاعَاتِ فَقَطُّ، لَأَذْرَكَا هَذَا!!

إِذْنُ لَمْ يَخْسِرْ فِيلِيَاسْ ثَرْوَتَهُ، وَكَانَ مَسْرُورًا بِذَلِكَ، وَلَكِنْ كَانَ هُنَاكَ سُؤَالٌ آخَرُ يَدُورُ بِذِهْنِهِ «هَلْ لَا تَزَالُ عُودًا تُوَافِقُ عَلَى الزَّوْاجِ مِنْهُ؟»

فَقَالَتِ هِيَ: «أَعْتِقُ أَنَّهُ عَلَيَّ أَنَا أَنْ أَسْأَلُكَ هَذَا السُّؤَالَ، الْآنَ وَبَعْدَ أَنْ أَصْبَحَتِ ثَرِيَّاً مَرَّةً أُخْرَى، هَلْ لَا تَزَالُ تَرْغُبُ فِي الزَّوْاجِ بِي؟»

الفُورِ بالرّهانِ

فَأَجَابَهَا: «عَزِيزَتِي عُوداً، لَوْلَاكِ مَا كَانَ لَدَيَ أَيُّ أَمْوَالٍ، إِذَا لَمْ تَطْلُبِي مِنِّي أَنْ أَتَزَوَّجَكِ، لَمْ يَكُنْ بِاسْبَارْتُو لِيَذَهَبَ لِرُؤْيَا الْكَاهِنِ».»
فَقَالَتْ: «يَا إِلَهِي، عَزِيزِي فِيلِياس، كَمْ أَنْتَ رَائِعٌ!»

بَعْدَ يَوْمَيْنِ، كَانَ فِيلِياس وَعُوداً قَدْ تَزَوَّجَا، وَاسْتَمَرَّ بِاسْبَارْتُو فِي عَمَلِهِ خَادِمًا لَهُمَا، وَكَانَ سَعِيدًا فِي وَظِيفَتِهِ.

لَقَدْ فَازَ فِيلِياس فَوْجِ بِالرّهانِ، وَقَامَ بِجَوَاهِرَةِ رَائِعَةٍ حَوْلَ الْعَالَمِ؛ فَقَدْ رَكِبَ الْفِيلَ،
وَاسْتَرَى قَارِبًا، وَاسْتَنَقَلَ الْعَدِيدَ مِنَ الْقِطَارَاتِ، وَأَبْحَرَ عَلَى مَتْنِ الْعَدِيدِ مِنَ الْبُوَاخِرِ، وَحَظِيَ
بِمُغَامَرَةِ رَائِعَةٍ. فَمَاذَا رَيَّخَ مُقَابِلَ عَنَائِهِ؟ حَسَنًا، لَقَدْ فَازَ بِامْرَأَةِ رَائِعَةٍ، جَعَلَهُ يَشْعُرُ
بِسَعَادَةِ غَامِرَةٍ فِي حَيَاتِهِ، أَوْلَيْسَ ذَلِكَ كَافِيًّا لِأَيِّ رَجُلٍ صَالِحٍ؟

